



أئمة أهل البيت

ودورهم في بناء
المجتمع الإسلامي

محاضرات
العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي

أئمة أهل البيت عليهم السلام

ودورهم في بناء المجتمع الإسلامي

جميع الحقوق محفوظة لجامعة آل البيت العالمية

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

هوية الكتاب

- اسم الكتاب: أئمة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في بناء المجتمع الإسلامي
 - المؤلف: العلامة الدكتور الشيخ عبدالهادي الفضلي
 - الناشر: مؤسسة السيدة المعصومة عليها السلام
 - المطبعة: ثامن الحجج عليه السلام
 - تاريخ الطبع: ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م
 - الكمية: ١٠٠٠ نسخة
 - المشرف على الطباعة: عبد الرضا محمد صالح الشالحي
 - رقم الإيلاع الدولي: ٩٧٨ - ٩٦٤ - ٩٨٤ - ٢٤١ - ٧
-

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤ أئمة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في بناء المجتمع الإسلامي

- كتب (الفهارس) و(الرجال)، إلماحة عامة..... ٢٨٥
- تحديد شدة الرقابة من خلال المؤشر العلمي..... ٢٨٨
- (الصَّحيفة السَّجَّادِيَّة) وسيلة لنشر الفكر..... ٢٩٣
١. شروح الصَّحيفة السَّجَّادِيَّة:..... ٢٩٣
٢. محتويات الصَّحيفة السَّجَّادِيَّة:..... ٢٩٤
٣. نُسخ الصَّحيفة السَّجَّادِيَّة:..... ٢٩٤
٤. عناية الشيعة بالصَّحيفة السَّجَّادِيَّة:..... ٢٩٦
٥. استدراكات على الصَّحيفة السَّجَّادِيَّة:..... ٢٩٨
- (رسالة الحقوق) وسيلة أخرى لنشر الفكر..... ٣٠٠

مدرسة الإمام الصادق والحضارة الإسلامية، إسهامات في البناء

- (المدرسة)، المعنى اللغوي والتَّطور الدَّلالي..... ٣٠٤
- محور الخلاف بين (أهل البيت) و(البيت الأموي)..... ٣٠٧
- (اجتهاد الرَّأي) في خدمة السَّاسة..... ٣٠٨
- أهل البيت، مضاعفة العطاء في ظلِّ الضعف السِّيَاسي..... ٣٠٩
- بين عالم السِّيَاسة والعطاء العلمي، وأسباب التَّرجيح..... ٣١١
- مدرسة الإمام الصادق، إطلاله عامة..... ٣١٤
- (المدرسة) مكانًا للتَّعليم والتَّدریس..... ٣١٤
- (المدرسة) مذهبًا وفكرًا..... ٣١٥
- خاتمة..... ٣٢٤

الفصل السادس: الإمام محمد بن الحسن عليه السلام

قضية الإمام المهدي عليه السلام والاعتقاد بها، استعراض للأدلة وملاساتها

المحتويات ١٥

فكرة المهدي، الأدلة العامة.....	٣٣٣
استعراض الدليل العقلي العام.....	٣٣٣
استعراض الدليل الثقلي العام.....	٣٣٤
المستشرقون وموقفهم من فكرة المهدي.....	٣٣٧
المستشرقون، من هم، وماذا يعملون؟.....	٣٣٧
الثورة الثقافية الغربية، وتأثيرات المنهج التجريبي.....	٣٣٨
المنهج التجريبي وتطبيقاته الاستشراقية على فكرة المهدي.....	٣٣٩
نقد التطبيق الاستشراقي للمنهج التجريبي.....	٣٤٢
كيف نثبت الدين؟.....	٣٤٥
التاريخ وقضية المهدي عليه السلام.....	٣٤٧
امتداد العمر، المكان والوقوع.....	٣٤٨
خاتمة.....	٣٤٩

فلسفة الانتظار العملي

اتجاهات الروايات في تفسير الانتظار.....	٣٥٥
اتجاهات فقهية في الانتظار.....	٣٥٧
الوضع العالمي وما يفرضه على المسلمين المنتظرين.....	٣٥٩
الطابع السياسي للحضارة الإسلامية.....	٣٥٩
الصراع بين الحضارتين الإسلامية والأوربية.....	٣٦٣
الصراع الحضاري والنتيجة النهائية.....	٣٦٧

من ينتظر من؟

دولة الإمام المهدي وافتراضات التأسيس، استعراض روائي.....	٣٧٥
--	-----

١٦ انمة أهل البيت عليه السلام ودورهم في بناء المجتمع الإسلامي

٣٧٦.....	الافتراض الأول
٣٧٧.....	الافتراض الثاني
٣٧٧.....	الافتراض الثالث
٣٧٨.....	المقارنة بين الافتراضات
٣٧٩.....	انجازات الواقع في تأسيس دولة الإمام المهدي
٣٧٩.....	الوضع العالمي، جولة في التاريخ الحديث
٣٨٠.....	المنادة بالنظام العالمي البديل
٣٨٥.....	الإسلام، الشيوعية والديموقراطية مقارنة من الواقع
٣٨٦.....	الإسلام الشيعي وتقديم النظام العالمي البديل
٣٨٧.....	الحركات الإسلامية وأهداف التحرك العليا
٣٨٩.....	الواقع المعاصر وإرهاصات الظهور
٣٩١.....	تحرك المسلمين سبيلاً للتمهيد
٣٩٥.....	المصادر

تقديم

حطّت رحال شيخنا العلامة الفضلي (رحمه الله) في المنطقة الشرقية بالدمام على ساحل الخليج في سنة (١٤٠٩هـ)، بعد تنقلاته في طلب العلم وتدريسه؛ من البصرة إلى النجف الأشرف وبغداد، فجدة على ساحل البحر الأحمر، فالقاهرة ثم جدة مرة أخرى؛ وقد شكّل استقراره الأخير نقلة ثقافية قلّما توافرت عليها هذه المنطقة في تاريخها المعاصر، فكان تأسيس البرامج الثقافية الحديثة على النمط الموجود في النجف في عصرها الذهبي النواة الأولى لنقطة الفضلي الثقافية، ثم كان التفاف الشباب حوله ليتشكّل منه البدايات الأولى لظاهرة النشاط الاجتماعي والثقافي الإسلاميين.

وقد برزت بسبب هذه النقطة مفاهيم إسلامية وثقافية، لم تكن قد طُرحت في المنطقة في المحافل الاجتماعية العامة؛ كمفاهيم: الدولة الإسلامية، الحضارة الإسلامية، ولاية الفقيه، النظام الإسلامي، الدعوة إلى الله، الاشتراكية، الرأسمالية، التجديد، الوحدة الإسلامية، النقد، الإصلاح الاجتماعي وغيرها. بالإضافة إلى هذه المفاهيم، فقد أسهمت هذه النقطة في إبراز مجموعة من الشخصيات الحوزوية والمرجعية؛ ولكن في جانبها الإصلاحي والحركي، بعد

أن كان الغالب هو بروز جانبها الديني التقليدي، أمثال: السيد الشهيد محمد باقر الصدر، السيد الإمام الخميني، الشيخ الطوسي، الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، الشيخ المفيد، السيد أبو القاسم الخوئي، السيد محمد تقي الحكيم، السيد الشهيد محمد باقر الحكيم وغيرهم.

كما كان لهذه النقلة التي قادها الفضلي الدور المهم في تعريف الناس بترائهم وتأريخهم الإسلامي والمذهبي؛ وجاء تأريخ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الموضوع الأهم في هذا السياق، لما له من تأثير على فكر وسلوكيات الأفراد والمجتمع.

بين دفتي الكتاب

الكتاب المائل أمامك أيها القارئ العزيز، عبارة عن مجموعة من المحاضرات التي ألقاها العلامة الفضلي (رحمه الله) في مناسبات متعددة، تمحورت حول أئمة أهل البيت (عليهم السلام)؛ فتناول فيها تأريخ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في (٥) محاضرات وملحق حوله تمت إضافته، وتأريخ الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) في محاضرتين، وتأريخ الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) في (٣) محاضرات، ومحاضرة واحدة مرتبطة بالإمام علي بن الحسين (عليهما السلام)، وأخرى في الإمام جعفر بن محمد (عليهما السلام)، وحول الإمام محمد بن الحسن المهدي في (٣) محاضرات، إضافة إلى (٣) محاضرات تمهيدية: الجدوى من كتابة التأريخ، وكيف ننقد التأريخ؟ والبعثة النبوية، فيكون المجموع (١٨) محاضرة.

سيلاحظه القارئ للكتاب مجموعة من الخصوصيات، التي كشفت عن

الشخصية العلمية التي يمتلكها العلامة الفضلي، نجمل بعضها في التالي:

١. أبرزت هذه المجموعة من المحاضرات انتهاء الدكتور الفضلي إلى الاتجاه الحركي في دراسة التاريخ؛ هذا الاتجاه الذي لا يبحث ولا يدرس التاريخ للتاريخ، وإنما بما يمثله من مرآة يستطيع المجتمع الإسلامي من خلاله أن يستلهم الدروس لحاضره ومستقبله.

٢. كما ظهرت في هذه المحاضرات شخصية الفضلي الناقد، مع كلّ التعقيدات التي تحفّ بأحداث التاريخ الإسلامي، فكان نقده ضمن معايير وأصول موضوعية؛ وهذا ما سيكون مبرّراً لخروج الفضلي بنتائج تاريخية ليست مألوفة أو معروفة في الأوساط العلمية.

٣. سيجد القارئ مواقف العلامة الفضلي تجاه بعض القضايا الفقهية أو العقائدية أو السياسية أو الاجتماعي أو الثقافية، كان قد بثّها في ثنايا حديثه، أو استطرادًا عن موضوعات المحاضرات، وبعضها يُعطي مقدار الجرأة العلمية التي يمتلكها.

٤. ستكشف محاضرات هذا الكتاب عن الموسوعة الثقافية لشيخنا العلامة، واستيعبه الأفقي للتراث الإسلامي شيعيًا وسنيًا؛ وهذه إحدى نقاط التفاضل بين نقاد التاريخ ودارسيه.

٥. إحدى امتيازات الشيخ في كتبه؛ قدرته على تنظيم بحوثه تنظيمًا منهجيًا يوصل القارئ بوضوح إلى النتيجة التي يسوقه البحث، وهنا سيقنع القارئ أنّ هذا التميز حاضر وبوضوح في المحاضرات؛ فسيجد كيف يربط محاور بحثه ربطًا منهجيًا مُنهياً إلى النتيجة.

وغير هذا من الخصوصيات التي سلاحظها القارئ.



الفصل السادس : الإمام محمد بن

الحسن عليه السلام

قضية الإمام المهدي عليه السلام والاعتقاد بها : استعراض

الأدلة وملايساتها

فلسفة الانتظار العملي

من ينتظر من؟



الإمام محمد بن الحسن (١)

قضية الإمام المهدي عليه السلام والاعتقاد بها

استعراض للأدلة وملابساتها (❖)

(*) أُلقيت سنة ١٤١٥ هـ، في البرنامج الرمضاني الخامس، في حسينية الناصر بمدينة سيهات.

موضوع المحاضرة كما تقدم به الأخ، عنوانه: على مشارف الانتظار، والعنوان مختار من قبل اللجنة، ويعني نحن نقرب من وقت الظهور، نحن الآن في حالة انتظار ونقرب من وقت الظهور؛ لوجود إرهابات كثيرة تدل على قرب وقت الظهور، وسأشير إلى بعض هذه الإرهابات في آخر الموضوع الذي أريد أن أتحدث عنه في هذه الليلة، ويرتبط أيضًا بالإمام المهدي وهو (قضية الإمام المهدي والاعتقاد بها).

كل الفرق الإسلامية تذهب إلى الإيمان بفكرة الإمام المهدي، باستثناء الخوارج والزيدية؛ الخوارج لا يقولون بوجود مهدي منتظر^(١)، وكذلك الزيدية لا يؤمنون بوجود مهدي منتظر لأنهم يرون كل من يقوم بالدعوة والثورة وهو من ولد علي وفاطمة هو إمام ومهدي^(٢)، فمن هنا لا يذهبون إلى القول بانتظار مهدي منتظر، وليس معنى هذا أنه عندما يخرج المهدي المنتظر لا يؤمنون به، بل بالعكس يؤمنون به لتوفر شروط الإمامة التي يعتقدونها فيه، يقولون يشترط في الإمام عدة شروط من أهمها:

- الدعوة، بأن يدعو إلى الإسلام.
- الثورة، أن يحمل السيف ويثور.
- وأن يكون من ولد علي وفاطمة.

هذه الأوصاف تتوفر في الإمام المهدي (عليه السلام)؛ فإذا هم يؤمنون به عند

(١) لاحظ: زكريا بن خليفة المحرمي، تاريخ ومنهج ومبادئ: ٨٠.

(٢) لاحظ: عز الدين بن الحسن، العناية التامة في تحقيق مسألة الإمامة، (القول في شروط الإمام والصفة التي يجب أن يكون عليها).

قضية الإمام المهدي عليه السلام والاعتقاد بها، استعراض للأدلة وملايساتها ٣٣١

خروجه، وأنا سمعتُ من بعض علماء الزيدية الذين التفتت بهم في لندن أنَّهم كانوا يؤمنون بإمامة السيد الخميني (ت: ١٤٠٩ هـ) (قدس سره)؛ لأنَّه من ولد علي وفاطمة، وقام بالثورة والدَّعوة، فانطبقت عليه الشُّروط التي ينبغي أن تتوفر في الإمام لديهم.

فمن هنا هم لا يقولون الآن بالمهدي المنتظر؛ لأنَّ كلَّ إمام لديهم هو مهدي منتظر، وعندما يخرج سوف يقولون بإمامته لتوفر هذه الشُّروط. الذي أريد أن أتحدَّث عنه: أنَّ لقضية المهدي أكثر من جانب، هي فكرة وتاريخ، ومنهج لدراسة الفكرة والتاريخ.

الفكرة، فهي الاعتقاد بأنَّه في آخر الزَّمان سيظهر مُصلح من ولد علي وفاطمة (عليهما السلام)؛ ويقوم بتطبيق الإسلام في دولة عالمية تعمُّ جميع أطراف وأرجاء العالم.

التاريخ، من هو هذا الإمام المهدي؟ هنا ينفرد الإمامية في الجانب التاريخي عن بقية المسلمين الذين يقولون بفكرة المهدي المنتظر، ينفردون بأنَّ هذا الشَّخص المهدي المنتظر وُلد وهو موجود، بينما الفرق الإسلامية الأخرى لا تقول بأنَّه وُلد ولا تقول أنَّه موجود.

إذا أردنا أن ندرس هذه الفكرة وندرس هذا التاريخ، فما هو المنهج الذي ينبغي علينا أن نتَّبعه؟

أنا أُثير هذا لوجود دراسات من قبل المستشرقين حول موضوع الإمام المهدي وفكرة الإمام المهدي، وتأثَّر بعض المؤرِّخين والكتَّاب من المسلمين بالمنهج الغربي في دراسة فكرة الإمام المهدي.

٣٣٢..... ائمة اهل البيت عليهم السلام ودورهم في بناء المجتمع الإسلامي

الإيمان بالمهدي كفكرة عادة يُستدلّ عليها بالعقل والنقل، هذا الذي دأب عليه المسلمون من حين بدأوا بالكتابة حول الموضوع وحتى الآن باستثناء من أشرت إليهم ممن تأثروا بالمستشرقين.

فكرة المهدي، الأدلة العامة

استعراض الدليل العقلي العام

أنا أحيل إلى كتاب وأشير أنّ السيّد الصدر (ت: ١٤٠٠ هـ) (قدّس سرّه) تناول موضوع المهدي من ناحية عقلية، وعَرَضَ كلّ الأدلة العقلية التي يمكن أن يُستدلّ بها على فكرة المصلح المنتظر، وعلى فكرة المهدي.

القرآن يقول بالنسبة إلى الدّين الإسلامي ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١)؛ يعني أنّ الإسلام يكون هو الدّين الوحيد الذي يظهر على كلّ الأديان، سواء كانت تلك الأديان إلهية أو غير إلهية، ويكون هو الدّين الوحيد للبشريّة وهذا الشيء لم يتحقّق.

الله سبحانه وتعالى يُخبر عن هذا وخبر الله صادق، ولكن هذا لم يتحقّق، لا تزال الأديان الأخرى من إلهية كاليهودية والمسيحية، وغير إلهية وهي الأنظمة المختلفة سواء سُمّيت بأديان أو لم تُسمَّ بأديان هي تُعتبر أديان غير إلهية؛ فإذا لا بدّ وأن يأتي يوم يظهر فيه الإسلام على كلّ الأديان والأنظمة ويصبح هو النظام العالمي الوحيد؛ تصديقاً لوعده الله تعالى، هذا لا يتحقّق إلّا -العقل هكذا يقول - بوجود قائد يقوم بالدعوة والثورة ويقضي على كلّ هذه الأديان والأنظمة الأخرى غير الإسلامية، ويطبّق الإسلام على العالم كلّ.

إذا كان هذا لا بدّ منه، فالعقل يقول أنّ الله لا بدّ أن يبيّئ هذا الإنسان ليصدق وعده الذي وعد به، هذا دليل من الأدلة العقلية التي تُذكر هنا.

استعراض الدليل النقل العام

يُستدل أيضًا على الفكرة بالنقل، وهو آيات فُسِّرت بالإمام المهدي أو بفكرة المهدي، وروايات كثيرة جدًا وهي الروايات متواترة، كثرتها تبلغ الآلاف؛ فلم ترد روايات في شخص سواء كان نبيًا أو إمامًا أو مصلحًا بالكثرة التي وردت في فكرة المهدي، الأحاديث التي وردت في فكرة المهدي تبلغ الآلاف؛ والأحاديث التي تبلغ الآلاف تُعتبر متواترة، حتى لو كان فيها غير صحيحة، والتواتر لا يُشترط فيه أيضًا صحّة الروايات وإنما الكثرة التي يُطمئن إليها تكفي في التواتر، ولا أظنّ أنّ كثرة واردة في هذا موضوع كالكثرة الواردة في فكرة المهدي.

وأيضًا في دراسات الحديث - سواء عند السنة أو عند الشيعة - يستدلّون على التواتر المعنوي بأحاديث المهدي؛ لكثرتها فلا يمكن أن تُردّ هذه الأحاديث أو يقال أنّ هذه الأحاديث غير صحيحة.

أكثر من هذا، السلفية - وأنتم تعرفون السلفية لأنكم تعايشونهم - هم من أكثر الناس تزمًا وتشددًا في مواقفهم حول هذه القضايا، هؤلاء السلفيون يقولون بتواتر أحاديث المهدي، وكتبهم موجودة؛ وآخر من كتب من السلفيين في الموضوع هو الشيخ عبد المحسن العباد مدرّس في الحرم النبوي الشريف وأستاذ في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، نَشَرَ بحثه في (مجلة الجامعة الإسلامية)^(١) استعرض الأحاديث التي تُروى عن طريق أهل السنة فقط؛ لأنّه لا يؤمن بصحّة الأحاديث التي تُروى عن طريق الشيعة، هذا موقف السلفية

(١) لاحظ: العدد الثالث، السنة الأولى، والبحث هو عبارة عن محاضرة بعنوان: عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر.

الذين لا يؤمنون بما يرويه الشيعة حتى لو كانت الروايات بعشرات الآلاف أو مئات الآلاف، فاقصر في استعراض الأحاديث التي رويت في كتب أهل السنة؛ وبالنتيجة انتهى إلى أن أحاديث المهدي متواترة ويجب الإيمان بفكرة المهدي. والذي لا يؤمن لازمه أنه يكذب الرسول (صلى الله عليه وآله)؛ لأن هذه الأحاديث المتواترة تدل على أن الرسول طرح هذه الفكرة كعقيدة وكواقع يتحقق في وقت ظهور المهدي (عليه السلام).

هناك ملابسات حدثت حول موضوع الإمام المهدي، فقد نشر بعض الكتاب تكذيب بفكرة الإمام المهدي، وأصدرت (رابطة العالم الإسلامي) في مكة المكرمة تقريراً مؤقفاً من قبل مجموعة كبيرة من علماء المسلمين من سلفيين وغير سلفيين بثبت فكرة المهدي، ووجوب الإيمان بفكرة المهدي.

فإذا من حيث الأحاديث لا نحتاج إلى أي شيء آخر؛ لأنها من الكثرة والوفرة التي لا يمكن أن تُرد أو يُقال أن هذه الفكرة غير صادرة عن النبي (صلى الله عليه وآله)، وإذا جمعنا الأحاديث المروية عن طرق أهل السنة وهي أكثر مما روته الشيعة في هذا الموضوع، وأضفنا إليها ما رواه الشيعة تصبح بالآلاف؛ يعني قد تصل إلى حدود الأربعة الآلاف أو أكثر، ولا توجد عقيدة عند المسلمين أو شخص من المسلمين أو غير المسلمين من الأنبياء السابقين ورد في موضوعه هذه الكثرة من الحديث.

المسلمون كما أشرت عندما بحثوا هذا الموضوع الأكثر منهم استدلالاً بالأحاديث والروايات الواردة في هذه الآية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١)، وآيات أخرى أيضاً فُسرَت في موضوع

(١) الأنبياء: ١٠٥؛ علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي ١: ١٤؛ السيد هاشم البحراني،

الإمام المهدي^(١)، واستدلوا بهذه الأحاديث الكثيرة.
ونتيجة هذه الأحاديث كلها تقول أن المهدي من ولد علي وفاطمة، وهذا متفق عليه.

وردت روايات أنه من ولد العباس، وهذه روايات موضوعة وضعها العباسيون للاستغلال، وأشار إليها الشيخ أبو الأعلى المودودي (ت: ١٩٧٩م)، وهو من أكابر علماء إخواننا من أهل السنة، ومن أكابر الدعاة الإسلاميين أيضًا، أشار إلى أن هذه الأحاديث موضوعة من قبل العباسيين^(٢).

فالتنتيجة التي تنتهي إليها الأحاديث بشكل صحيح أنه من ولد علي وفاطمة. بعض المسلمين قد يستدل بالدليل العقلي - كما ذكرت - كالسيد الصدر (قدس سره) فقد تناول الموضوع من ناحية عقلية، وأثبت فكرة الإمام المهدي بالأدلة العقلية في كتابه (بحث حول المهدي (عليه السلام))، والكتاب مطبوع ومتداول.

البرهان في تفسير القرآن ٣: ٨٤٨.

(١) لاحظ: الشيخ المجلسي، بحار الأنوار ج ٥١.

(٢) لاحظ: في انتظار الإمام: يعالج قضية الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) ومسألة الحكم الإسلامي اليوم: ٣٨، نقلًا عن المودودي.

المستشرقون وموقفهم من فكرة المهدي

المستشرقون، من هم، وماذا يعملون؟

الذي يهنا هنا المستشرقون، وهم مجموعة من العلماء الغربيين والعلماء الأوربيين، والآن يُضاف إليهم العلماء الأمريكيان الذين تخصصوا بدراسة الشرق، يُسمّون بالمستشرقين؛ لأنهم تخصصوا بدراسة الشرق عمومًا، ولكن ركّزوا على الشرق الإسلامي أكثر من غيره، وركّزوا على المعتقدات الإسلامية أكثر من غيرها مما هو موجود في غير حضارة الشرق الإسلامي.

المستشرقون عددهم ليس قليلاً، وهناك كُتب تترجم لهؤلاء المستشرقين منها كتاب (المستشرقون) في ثلاثة مجلدات لنجيب العقيلي، وهم ينتشرون على مختلف البلدان الأوربية: في بريطانيا وفرنسا وهولندا والنمسا والنرويج والدنمارك والسويد وإسبانيا، كذلك في روسيا هناك عدد كبير منهم، وفي المجر أيضاً، فهم منتشرون في مختلف البلاد الغربية.

هؤلاء تفرّغوا لدراسة الشرق وعندهم مراكز دراسات ومعاهد وجمعيات باسم جمعيات المستشرقين، من جانب خدموا إلى حدٍّ ما بما طبعوه من مخطوطات^(١) عربية وغير عربية، فقد أبرزوا مجموعة من هذه الكتب المخطوطة سواء كانت باللغة العربية - وأكثرها كذلك - أو باللغة الفارسية أو باللغة التركية أو بعض لغات المسلمين، وطبعوها بشكل محقق في الوقت الذي ما كان المسلمون يطبعون مخطوطاتهم بشكل محقق، وإنها استفادوا التحقيق في الواقع من

(١) المخطوطات: هي الكتب المكتوبة باليد، هذه نسميها (مخطوطة) حيث لم تطبع طباعة حديثة. (منه)

المستشرقين، من هنا أبدوا شيئاً من الخدمة.

ولكن في الدراسات التي كانوا يقومون بها والأبحاث التي يكتبونها أو عندما يؤلف المستشرق كتاباً يتأثر بالمنهج الغربي، وهو منهج تجريبي.

الثورة الثقافية الغربية، وتأثيرات المنهج التجريبي

الغربيون بعد الثورة الثقافية التي بدأت بـ(ديكارت) (ت: ١٦٥٠م) الفيلسوف الفرنسي المعروف؛ ألغوا المنهج العقلي وألغوا المنهج الثقلي، فلا يؤمنون بالمنهج عقلي أو المنهج الثقلي، وأخذوا بالمنهج التجريبي.

ما معنى المنهج التجريبي؟ هو المنهج الذي يدرس الأشياء التي تقع تحت الحس فقط، والأشياء التي تُشاهد، والظواهر الطبيعية والإنسانية وغيرها من الأشياء التي تُحس، أو التي تقع تحت الحس سواء أُدخلت إلى مختبر ومعمل أو لم تُدخل، أو أُخضعت للملاحظة فقط والمشاهدة. فهم لا يؤمنون بشيء وراء الحس، وما يقع تحت الحس يؤمنون به؛ من هنا لا يؤمنون بما يُسمونه هم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا)، فالشيء الذي يكون وراء هذه الحياة التي نعيش فيها لا يؤمنون به، فكل الغيبات التي نؤمن بها نحن كمسلمين ويؤمن بها الآخرون من أصحاب الأديان الأخرى هم لا يؤمنون بها؛ لأنّها لا تقع تحت التجربة ولا تقع تحت الحس، فالله سبحانه وتعالى من الغيبات والذات الإلهية غير مشاهدة لنا وإنّا نحس بآثارها فهم لا يؤمنون به.

وسأذكر بعض النصوص التي تُشير إلى هذا؛ فكل الأفكار الموجودة في الأديان والتي ترتبط بقضايا غيبية غير محسوسة لا يؤمنون بها.

المنهج التجريبي وتطبيقاته الاستشراقية على فكرة المهدي

نأتي إلى موضوعنا (فكرة المهدي): نحن نؤمن بأنه موجود، لكن مَنْ مَنْ يعرفه بحيث يستطيع أن يُشير ويقول هذا هو المهدي فيوقع هذا الإنسان تحت الحسّ ويقول أنا أشاهده مثلاً، إذا كان هكذا إذاً هو قضية غيبية في رأي هؤلاء، وإذا كان قضية غيبية إذاً لا يُؤمن بها، وإذا كان لا يُؤمن بها فعندما جاءوا لدراساتها قالوا أن الإيمان بفكرة المهدي عند المسلمين ظاهرة دينية - اجتماعية؛ يعني أبناء المجتمعات الإسلامية يؤمنون بفكرة المهدي كعقيدة دينية وهذا معنى ظاهرة دينية - اجتماعية، ولكن نحن نؤمن بأن فكرة المهدي هي من الله لما جاءت عن طريق النبي (صلى الله عليه وآله)، وهم لا يؤمنون بوجود الله حتى يقولون أن هذه الفكرة جاءت من الله؛ إذاً من أين جاءت؟ فيبحث المستشرق عن نشأتها، وهو دائماً في الأفكار الموجودة عند الناس؛ سواء كانت تلك الأفكار دينية أو غير دينية، وشكّلت ظاهرة اجتماعية بمعنى توجد عند أكثر الناس في المجتمع، يحاولون التعرف على نشأة تلك الظاهرة ومن أين جاءت هذه الظاهرة عند الناس؟ ومن أين جاءت هذه الفكرة؟

واضح أننا نعلّل فكرة المهدي أنها جاءت من الله؛ لأننا نؤمن بالله وهم لا يؤمنون به، فلا بدّ من أن يعلّلوها؛ وطرحوا لذلك أكثر من تعليل، وأنا أذكر تعليلين فقط وهما الأكثر تداولاً على ألسنتهم وفي كتابتهم:

التعليل الأول: قالوا إن فكرة المهدي نشأت عند الطبقات المستضعفة المحرومة؛ إذا كان النظام جائراً وكان الحاكم جائراً فيضطهد هذه الطبقة المسحوقة، فتكون مضطهدة محرومة حقوقها، وهذه الطبقة هي الأكثر في

المجتمعات، هذه الطبقات المسحوقة المهضومة المحرومة المضطهدة أرادت أن تسلي نفسها وتعزي نفسها وتخفف من الآلام الموجودة عندها بسبب حرمانها، فتستبقي شيئاً من الأمل في استرجاع الحقوق؛ فاخترعوا فكرة المهدي وقالوا إن هذه الأنظمة جارت علينا لكن سيأتي يوم يخرج فيه الإمام المهدي ويأخذ حقنا منهم وينتقم منهم، وظلت هذه الطبقة تعيش على هذا الأمل.

فيرى المستشرقون أن حرمان الطبقات المضطهدة هو السبب في خلق هذه الفكرة، هذا تعليل لاستبقاء الأمل لدى هذه الطبقة، فيبقى الأمل عند الإنسان في أن حقه سيرجع له، وهذا يكفي بأن يخفف من آلامه.

التعليل الآخر: يأتي من جانب الحكّام وليس من جانب الطبقات المحرومة المضطهدة، فالحاكم قد يكون جائراً ويريد أن يحافظ على الحكم - وكما تسمعون هذه الكلمة (الملك عقيم) - فيتوسّل بشتى الوسائل للمحافظة على هذا الحكم، وأهم وسيلة أن يخدّر الشعب؛ لأن لا يثور عليه، ومن أقوى وسائل التخدير أن يطرح فكرة المهدي، وأن الثورة في الدنيا يستحيل أن تتحقّق من شخص غير الإمام المهدي، بعدها أنا لا أفكر أن أقوم بثورة وأنت لا تفكر أن تقوم بثورة وكلّ إنسان لا يفكر، وننتظر إلى أن يخرج الإمام المهدي، والحاكم هذه فرصته فيخدّر الشعب بهذه الفكرة، وأنه من غير الممكن أن تقوم ثورة إسلامية قبل ثورة الإمام المهدي.

مجموعة من المستشرقين يعلّلون بهذا التعليل.

فكرة التعليل الأول: لنرى من أين جاء هذا التعليل؛ يقول الفيلسوف الألماني نيتشه (ت: ١٩٠٠م): (إنّ الدين والإله من صنع الطبقات المحرومة المستضعفة

واختراعاتهم؛ ليحدوا بها من استغلال الأثرياء وطغيان الأقوياء الحاكمين^(١).
يريد أن يقول: إنَّ الدِّين ليس منزل من الله، لماذا؟ لأنَّه لا يوجد شيء اسمه الله، (الله) الإنسان هو من خلقه، ولماذا خلق الإنسانُ الله؟ نحن نعتقد أنَّ الله هو الذي خلق الإنسان، وهذا يقول العكس: الإنسان خلق فكرة الإله، خلق الفكرة وجعلها في ذهنه وصنع هذا الدِّين الذي ينسب إلى الإله؛ ليقف به أمام استغلال هؤلاء الحاكمين الظالمين، ليقولوا لهم أنتم تريدون أن تظلمونا، ولكن سيأتي يوم القيامة والله سينتقم منكم، ويأخذ حقنا منكم، فهو بكلِّ صراحة يقول: إنَّ الدِّين ليس من الله، أو أكثر من هذا فكرة الإله هي مصنوعة من قبل الإنسان، فإذا كان الدِّين هكذا، إذا فكلَّ الأفكار الدِّينية هي مصنوعة من قبل الإنسان، ومن جملتها فكرة المهدي فهي فكرة دينية فهي مصنوعة من قبل الإنسان. هذا اعتقادهم كما أشرت.

أما التعليل الثاني: كتاب (البيان الشيوعي) والذي يُعتبر أهم وثيقة للشيوعية، فيه مجموعة من فلسفتهم وأفكارهم، يقول: (إنَّ الدِّستور والأخلاق والدِّين كلُّها خدعة البرجوازية وهي تتسرَّ وراءها من أجل مطامعها)^(٢)؛ فخلقت الدِّين لتخدِّر به الشُّعوب حتى تُحقِّق مآربها كما تريد، وفكرة المهدي فكرة من الأفكار الدِّينية.

يقول لينين (ت: ١٩٢٤م) - وهو من أوائل القيادات الشيوعية بعد كارل ماركس (ت: ١٨٨٣م) - في المؤتمر الثالث لمنظمة الشُّباب الشيوعي الذي عقد

(١) نقلاً عن الشَّيخ عبد الله نعمة، عقيدتنا: ٢٤ - ٢٥.

(٢) نقلاً عن المصدر السابق: ٢٦.

في أكتوبر سنة (١٩٢٠م)، يقول بكل صراحة: (أنا لا نؤمن بالإله، ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والإقطاعيين البرجوازيين لا يخاطبونا باسم الإله إلا استغلالاً ومحافظة على مصالحهم)^(١).

إذا هم يخلقون - هكذا يقول - الأفكار الدينية للحفاظ على مصالحهم. هذا تفسير من التفسيرات التي تُذكر من قبل المستشرقين لفكرة المهدي.

نقد التطبيق الاستشراقي للمنهج التجريبي

موقفنا من هؤلاء المستشرقين يأتي من عدة جوانب:

أولاً: التناقض في التعليل، مرة يقولون أن الطبقات المحرومة هي التي خلقت الدين، وبالتالي خلقت فكرة المهدي، ومرة أخرى الطبقات المنعمة والطبقات الحاكمة هي التي خلقتها، هذا تناقض فإما هذه الطبقة وإما هذه الطبقة، والتناقض يدل على أن الفكرة موجودة قبل هؤلاء، وهؤلاء جاءوا واستغلوا الفكرة، إلا أن تكون الطبقات المحرومة جاءت واستغلت هذه الفكرة لأنها موجودة عند المسلمين، وقد يكون الحكام أيضاً استغلوا الفكرة، وهي موجودة، وإلا لا يمكن ذلك لأنه سيحصل تناقض فيه؛ إما هذه الطبقة تخلق الفكرة وتبناها الأخرى، أو الطبقة الأخرى تخلق الفكرة وتبناها الثانية.

ثانياً: ثم هذه الاستنتاجات غير مدعومة بدليل، فأنت عندما تراني أنا أو من بالدين المفروض أن تسألني عن دليلي على الإيمان بالدين، لا أنك تأتي وتفسر من نفسك؛ وتقول أنت آمنت بالدين لأن الحكام أملوا عليك هذه الفكرة، أو لأن

قضية الإمام المهدي عليه السلام والاعتقاد بها، استعراض للأدلة وملايساتها ٣٤٣

البرجوازيين أو الإقطاعيين أملوا عليك هذه الفكرة، أو لأنك من الطبقات المحرومة وتريد أن تُسلي نفسك، المفروض أن ترى ما هو دليلي على الدين، وفي ذلك الوقت إذا أنا ما استطعت أن أقيم الدليل على أن الدين من صنع الله يمكن لك أن تأتي وتناول هذه التأويلات. أمّا أنك أنت تستنتج لأنك لا تؤمن بوجود إله، فهذا شيء غير علمي ولا يتماشى مع المنهج العلمي.

أكثر التعليقات السابقة جاءت من علم الاجتماع، هناك علم الاجتماع الديني وهو فرع من فروع علم الاجتماع وهو مبني على عدم الإيمان بالله، وعلى أن الدين من صنع الناس، للأسباب التي يذكرونها؛ من حملتها الأسباب التي أشرنا إليها، وفكرة المهدي كانت موجودة كعقيدة قبل مجيء إميلدوركيم (ت: ١٩١٧ م) وأمثاله.

لا أريد أن أتناول الفكرة من ناحية عقائدية، وإنما سأتناولها من ناحية تأريخية: كان الناس يستدلون عليها بالنصوص الشرعية وبالأدلة العقلية، ويستدلون على الدين بأنه من الله بالأدلة العقلية وبالأدلة النقلية، صحيح استُغلت هذه الفكرة - والتأريخ يثبت لنا هذا - واستغلها واضح، فكثير من الثوار ادّعوا المهدية، ومنهم:

- عبيد الله بن محمد المهدي الفاطمي (ت: ٣٢٢ هـ) كان في القرن الرابع في

المغرب، جدّ الفاطميين أصحاب الدولة الفاطمية في المغرب وفي مصر.

- ابن تومرت (ت: ٥٢٤ هـ) كان هذا في القرن السادس، ادّعى المهدوية أيضًا

كان في المغرب.

- المهدي النصيري، زعيم الفرقة النصيرية المعروفة التي هي إحدى فرق

الغلاة، هذا كان ادّعى أنّه المهدي.

- المهدي السوداني (ت: ١٣٠٢هـ)، وهذا كان في بدايات القرن الرابع عشر، وهو من ينتسب إليه الآن المنتسبون إلى المهدي، أيضًا هذا ادّعى المهديّة. المعنى أنّ فكرة المهدي ثابتة عند المسلمين، وأنها ليست من صنعهم وإنّما هي من الله ولذا تُستغل من قبل الآخر؛ فلو كانت من صنعهم لم تُستغل. كان هناك أيضًا في سنة ١٤٠٠هـ من ظهر في مكة، ادّعى هو وجماعته أنّه المهدي، ونادوا باسمه أنّه المهدي، وكانت شائعات في أنّه مهدي الشيعة قد خرج بمكة.

إذا استُغلت فكرة المهدي؛ لأنّها ثابتة عند المسلمين، أمّا هذه التفسيرات التي تُذكر من قبل المستشرقين قد لا يكون لنا معهم كلام، ولكن كلامنا مع المسلمين الذي يتأثرون بالمستشرقين مثل: الأستاذ أحمد أمين المصري (ت: ١٩٥٤م) في كتبه (فجر الإسلام) و(ضحى الإسلام) وكتابه (المهدي والمهدوية) في (سلسلة أقرأ) أيضًا يذهب مذهب المستشرقين أنّ هذه الفكرة مخلوقة.

نحن عندنا حوالي ^(١) ٤٠٠٠ حديث مروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن طريق الصحابة وعن طريق أهل البيت، وعدد الرواة ضخم جدًا، وقلت أنّه لا توجد فكرة وردت فيها أحاديث بهذه الكثرة وبهذه الوفرة، إذا كانت هذه الفكرة نتركها مع وجود هذه الوفرة من الأحاديث فلن تبقى عندنا فكرة أبدًا؛ لأنّ كل الأفكار الأخرى والأحاديث والتّصوص التي وردت فيها

(١) لاحظ ما ذكر من روايات في منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، الشيخ لطف الله الصافي.

أقل منها من حيث العدد بفاصل كبير.

أثرتُ هذا لأنَّ فكرة المستشرقين استُغِلَّت في الآونة الأخيرة عندما صارت الحملة القويّة ضد الشيعة والتي صدّرت أكثر من ٢٠٠ كتابًا تهجّم على الشيعة، وقد أخذوا يرددون كلمات المستشرق مع إيمان هؤلاء الكتاب - الذين هم مسلمون - بالحديث المتواتر؛ ولكن لغايات معينة أخذوا يرددون كلمات هؤلاء المستشرقين.

أثرتُ هذا لأنّه ربما تقرأون شيئاً منه.

كيف نُثبت الدين؟

كيف نُثبت الدين؟ وفكرة المهدي - وهي جزء من الدين - عقيدة دينية؟ تسمعون أنتم بكثرة من العلماء والخطباء والمثقفين أن الدين يُثبت بالإعجاز، والنبى عندما يدّعي النبوة لابد أن يأتي بمعجز يصدّق نبوّته، فإذا جاء بالمعجز وصدّق نبوّته فيعني أنّه مرسل من قبل الله، وما يأتي به يكون من قبل الله فيثبت صدقه.

والشيء الثاني، ربما تتمشّى مع طبيعة الدّراسات الحديثة؛ فأمامنا الدين الإسلامي، والدّراسات الآن موجودة بشكل كبير حول الدين الإسلامي، ونرى مطابقته لطبيعة الإنسان، فإذا قارنّا الدين الإسلامي بالأديان الأخرى وبالأنظمة والقوانين الموجودة، سواء في مجال الاقتصاد أو مجال الاجتماع أو في أي مجال آخر، نرى الدين الإسلامي يتمشّى مع طبيعة الإنسان، بينما في تلك الأنظمة الأخرى نجد فجوات وهفوات، وهذا دليل على أنّه من الله؛ لأنّه لا يعرف

٣٤٦..... أئمة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في بناء المجتمع الإسلامي

طبيعة الإنسان إلّا خالق الإنسان، فلو كان الدين الإسلامي من صُنع الإنسان
فستكون فيه الفجوات الموجودة في الأنظمة الأخرى، والهفوات الموجودة في
الأنظمة الأخرى.

التاريخ وقضية المهدي عليه السلام

بعد هذه المرورة السريعة في الموقف من فكرة الإمام المهدي.
قلت أن البحث جانبيين، جانب الفكرة والتاريخ، أنتقل باختصار إلى جانب التاريخ.

قلتُ أن فكرة الإمام المهدي موجودة عند كل المذاهب الإسلامية، باستثناء الخوارج والزيدية، وأوضحت أن الزيدية يؤمنون عملياً وإن لم يؤمنوا قولاً بفكرة المهدي.

التاريخ الموجود عند الشيعة وعند الإمامية بالذات، يقول أن الإمام المهدي هو محمد بن الحسن العسكري وُلد سنة (٢٥٥هـ)، وبدأت غيبته الصغرى سنة (٢٦٠هـ)، ولمدة ٧٠ سنة تقريباً، ثم بدأت الغيبة الكبرى.

كيف نُثبت هذا؟ هذا لا يأتي بالاستنتاج وإنما بالشهود، ولذا فإن الإمام العسكري (عليه السلام) (ت: ٢٦٠هـ) احتاط لهذه القضية تمام الاحتياط، فعندما وُلد الإمام محمد المهدي بعث رسالة - وهذا أول إعلان عن ولادة الإمام المهدي للشيعة - إلى أحمد بن اسحاق^(١) زعيم الشيعة في قم وكان فيها حاولي ٢٠٠ ألف راوياً؛ فكانت كثرة الشيعة في ذلك الوقت فيها، فبعث له خطاباً يبشّره بولادة ابنه محمد.

وأيضاً بعد هذا استدعى الإمام العسكري أربعين من خلّص الشيعة وأدخلهم إلى البيت وأخرج لهم الطّفل ليروه، وقال هذا (إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم)^(٢)، ثم كانت مواصلة لإتصال الشيعة لمعرفة الإمام المهدي،

(١) الشيخ المجلسي، بحار الأنوار ١٦: ٥١.

(٢) المصدر نفسه ٢٦: ٥٢.

فكان هناك شهود عيانة وشهود حسية ككل قضية حسية تحتاج إلى شهود، وهذا موجود عندنا من ناحية تاريخية.

امتداد العمر، الإمكان والوقوع

امتداد هذا العمر يمكن أن يُستدل عليه كما يستدل عليه الخطباء بالطرق الدينية:

١. فإذا كنّا نكذب عُمر المهدي فسوف نكذب عُمر نوح الذي ذكر القرآن أنه ٩٥٠ سنة فقط هو في قومه يدعوهم، فمن الممكن أن يتجاوز عمره ألف سنة.
 ٢. عيسى رفعه الله إليه ولم يمت؛ فإذا أردنا أن نكذب طول عُمر المهدي سنكذب القرآن في قضية عيسى، وفي قضية الخضر هذه من ناحية.
- ومن ناحية علمية: أثبتت الدراسات - ونُشر هذا في (مجلة المقتطف)^(١) قديماً، والآن في أكثر من كتاب نُشر أنّ الإنسان بإمكانه أن يعيش مدّة طويلة فيما إذا هُئِئت له الظروف لتستمر الخلايا تبني الخلايا؛ لأنّه عندما يكبر الإنسان تقف خلاياه وتبدأ بالفناء، فحتى من ناحية علمية ثبت هذا الشيء؛ فلا مجال أن نكون كمسلمين متأثرين بالمستشرقين ونأخذ ما يكتبون إلّا لغاية في نفوسنا، وطبعاً الغاية التي كانت هي تشويه سمعة الشيعة بعد الثورة الإسلامية؛ لأنّ كلّ هذه الكتب التي صدرت كانت في هذه الفترة، لينفر الناس من الشيعة فينفرون من الإسلام.

(١) السّنة الثّانية عشرة، ٢٠ شعبان ١٣٠٥ هـ، الجزء ٨.

خاتمة

الوضع العالمي الآن، هو في الواقع إرهاب يدلّ على قرب وقت الظهور، فالدعوة إلى نظام عالمي لم تكن موجودة، وكان الذي يقول بها يُستسَخف عَقْلُهُ؛ لأنّه غير معقول أن يكون عندنا نظام واحد للعالم كلّهُ، يعني العالم كلّهُ يكون دولة واحدة أو يخضع لنظام واحد!

ولكن الآن هناك مناداة بالنظام العالمي الواحد، في أمريكا وأوروبا والدعوة قائمة، وما يُنشر وما يُطبع وما يكتب بشكل غريب، والناس تتوقّع الآن نتيجة الصّراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية انتصار أحد النظامين؛ إمّا النظام العالمي الغربي أو النظام العالمي الإسلامي.

النظام العالمي الإسلامي في حدود اعتقادنا كشيعة وكسُنّة كذلك لا يتحقّق إلاّ من قِبَل الإمام المهدي (عليه السلام)؛ تصديقاً لقوله تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١)، وهي الآية التي بدأنا بها المحاضرة، فالإرهاصات - بدون أن نستعرض العلامات التي تُذكر في الروايات - التي تحدث الآن قوّة وموجودة، وإستعداد المسلمين الآن والتّوجه للاستعداد العسكري، فكُلّ الدّول الإسلامية الآن تستعدّ استعداداً عسكرياً ضخماً تحاول أن تتحوّل إلى دول صناعية تمتلك الصّناعات الضّخمة، لتكون هي الدّول الكبرى في العالم، كلّ هذا إرهاب يدلّ على خروج الإمام المهدي؛ لأنّه الوحيد الذي يحقّق لنا الدّولة العالمية. اللهمّ إنّنا نرغب إليك في دولة كريمة تُعزّز بها الإسلام وأهله، وتُذلّ بها النّفاق

٣٥٠..... انمة أهل البيت عليه السلام ودورهم في بناء المجتمع الإسلامي

وأهله، وتجعلنا فيها من الدُّعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها
كرامة الدُّنيا والآخرة.
والحمد لله ربِّ العالمين.

الإمام محمد بن الحسن (٢)

فلسفة الانتظار العملي (*)

(*) أُلقيت سنة ١٩٩٤ م.



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلَاة والسَّلَام على نبينا محمّد وآله الطَّيِّبين
الطَّاهرين.

أشكر الأخ على تفضّله، وأودّ أن أعرب أنّي دون ما أثنى به فضيلة الشَّيخ
بكثير؛ فما أزال طالبًا في طريق التَّحصيل العلمي، وإذا كنتُ آية من آيات الله
فكلّ مخلوق هو آية من آيات الله، فالتَّعبير بآية أودّ أن ينصرف بهذا المعنى.
وأكرّر شكري للأخ الشَّيخ على ثنائه وانطباعه.

يا مشرق النّور إنّ اللّيل معتكّر	نجهمت منه آفاق وأنحاء
متى نرى الفجر يمحو كلّ داجية	وتستجدّ في هذا الكون أضواء
هذه الركائب في الصحراء قد وقفت	جبرى وفي اليد أهوال ورمضاء
وذى السفينة والأمواج صاخبة	لا يستقيم لها في اليمّ إرساء
قل للجحافل تنهض من مراقدها	فقد خلت من صهيل الخيل يبداء
ولبّ للحقّ يا بن الحقّ دعوتّه	فقد عراه من التّضليل إعياء
كثيرة الله لم تهدأ على نرة	أو تستجب للتّغاضي وهي خرساء

سأحاول أن أتناول معنى (الانتظار) بالتّوضيح وفي حدود الاختصار
والتركيز، وسأتناول الموضوع من جانبين:

٣٥٤ انمة اهل البيتؑ ودورهم في بناء المجتمع الإسلامي

الجانب الأول: من التّراث وما ورد حول وفي معنى الانتظار من الروايات
والفتاوى.

والجانب الثاني: من الواقع المعاش؛ الواقع الذي نعيشه بماذا يفسّر (الانتظار).

اتجاهات الروايات في تفسير الانتظار

من جانب الروايات؛ أو الجانب الأول: هناك روايات تؤكد على الانتظار، وأن لا ينسى المسلمون أو يتناسوا فكرة الانتظار؛ فدائمًا ينبغي للمسلم أن يكون على تذكّر وترقب لخروج الإمام المهدي (عليه السلام)، والروايات نفسها تشير إلى أن الإنسان إذا كان منتظرًا وترقب ظهور الإمام المهدي يثاب على هذا الترقب، ويثاب على هذا الانتظار^(١).

هناك روايات أخرى إلى جانب هذه الروايات تفسّر الانتظار بالاستعداد؛ أن يكون المسلمون على استعداد لظهور المهدي، والروايات هنا أيضًا تأتي على مجموعات: بعضها يفسّر الاستعداد بالاستعداد العسكري، وارد في بعض الروايات أنه ينبغي للمسلم أن يكون لديه ولو سيف، وهذا كناية عن الاستعداد العسكري لخروج الإمام المنتظر.

وهناك مجموعة أخرى من الروايات تفسّر الانتظار بالتهيؤ فكريًا لخروج الإمام المنتظر، وسأوضح بعد هذا معنى فكريًا، وماذا يراد بالتهيؤ الفكري لخروج الإمام المنتظر، وكيف يتهيأ المسلمون ويستعدون فكريًا لخروج الإمام المنتظر.

هناك بعض الروايات قد يُفهم منها الاستسلام؛ وأنه في فترة الانتظار على المسلم أن يستسلم للواقع ولا يتحرك لا هنا ولا هناك^(٢). هذه الروايات على قلتها هي ضعيفة السند؛ ولا أقول رجعت إليها جميعًا، وإنما رجعت إلى بعضها

(١) لاحظ مثلاً: الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة: ٢٨٧.

(٢) لاحظ مثلاً: الشيخ الطوسي، الغيبة: ٤٤١.

لأنَّه سَنَدُ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ؛ فَرَأَيْتُ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ ضَعِيفَةَ السَّنَدِ.
مُضَافًا إِلَى أَنَّ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ لَا تَقَاوِمُ الرِّوَايَاتِ الْآخَرَى؛ لِأَنَّ الرِّوَايَاتِ
الْآخَرَى مِنْ حَيْثُ الْكَثْرَةِ إِنْ لَمْ تَبْلُغْ حَدَّ التَّوَاتُرِ فَهِيَ تَبْلُغُ حَدَّ الْإِسْتِفَاضَةِ.
فَمِنْ هُنَا: هَذِهِ الرِّوَايَاتِ لَا تَصَادِمُ وَلَا تَنَاضُضُ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ الْآخَرَى.
هَذَا مُلَخَّصٌ مَا جَاءَ فِي الرِّوَايَاتِ.

اتجاهات فقهية في الانتظار

في الفتاوى، فتاوى العلماء التي عادة تقوم على أساس من هذه الروايات أو على أساس ما يسمى في الفقه الجعفري - بالذات - بالعناوين الثانوية؛ يعني أن الفقيه الإمامي يحاول أن يتعرف الظروف المحيطة أو الظروف السابقة لخروج الإمام المهدي؛ الظروف التي يعيشها المسلمون - مثلاً - في عصره ومن خلال معرفته لهذه الظروف، يقدّر ما ينبغي أن يُعطى من فتوى هنا.

١- هناك من الفتاوى ما يُوجب تطبيق الأحكام الإسلامية على المسلمين في فترة الانتظار، هذه فتوى أكثر الفقهاء، فأكثر الفقهاء يقولون لا يجوز تعطيل الحدود ولا يجوز تعطيل الأحكام ترقباً لخروج الإمام المهدي؛ بل يجب على المسلمين أن يقوموا بتطبيق الأحكام الشرعية، وفي كلّ مجالات الحياة الاجتماعية واقتصادية وسياسية وعسكرية وإلى آخره....

وهذا رأي أكثر الفقهاء، أو تقريباً جُلّ الفقهاء بما يقرب من الإجماع.

٢- هناك من الفقهاء - وهم قلة - يذهبون إلى وجوب - أيضاً - تطبيق الأحكام الإسلامية ولكن عند الأمن من الخطر، وعندما أقول تطبيق الأحكام الإسلامية؛ أعني بذلك كما يعنون: إقامة دولة إسلامية تطبق الحكم الإسلامي. عندما يقولون يجب تطبيق الأحكام الإسلامية عامة هم يعنون بهذا: أن يعمل المسلمون على وجود حكم إسلامي في بلدانهم وفي مجتمعاتهم.

هؤلاء الفقهاء الآخرون يقولون هذا الوجوب مقيّد بالأمن من الخطر، وهؤلاء الذين يقولون هذا الوجوب مقيّد بالأمن من الخطر يقولون إذا لم يكن هناك - كما يعبرون - ضرر على (بيضة الإسلام)؛ يعني إذا لم يكن هناك ضرر على

الإسلام كمبدأ أو على المسلمين كأمة، في هذه الحالة يرتفع هذا الشرط، وحتى لو كان هناك خطر على المسلمين أن يتحملوا هذا الخطر، وقيموا أو يحافظوا على الإسلام كمبدأ وعلى المسلمين كأمة.

٣- وهناك فئة قليلة تذهب إلى ما يسمى - طبعاً لا يصريحون بهذا التصريح في الواقع - إلى ما يسمى (فصل الدين عن الدولة) أو (فصل الدين عن السياسة) وهو أن نركن إلى الاستسلام ونترك كل شيء.

الواقع لا يوجد لدينا روايات أو نصوص يُستفاد منها هذا المعنى، بالإضافة إلى أن هذا المعنى يصطدم مع الضرورة من الدين؛ فالضرورة من الدين تفرض على المسلم - متى استطاع - أن يُقيم بالدين الحكم الإسلامي؛ يجب عليه أن يُقيم الدين الإسلامي، وهذا لا خلاف فيه.

هؤلاء الذين يقولون هذا القول قد يستفيدون هذا من ظروف معينة أو خلفيات أو شبهات، لكن مع هذا يبقى هذا الرأي بعيداً كل البعد عن طبيعة الإسلام وواقع الإسلام كنظام للحياة؛ لأنّ هذا يعني تعطيل الإسلام كنظام للحياة وهذا لا يجوز، وإذا كان هناك شيء يمكن أن يُشَبَّه به فهذا لا يسوّغ لنا أن نقول أنّ الإسلام يُعطل ولا يُطبّق حتى يخرج الإمام المنتظر. هذا خلاصة ما يدور في فلك الروايات أو في إطار الفتاوى.

الوضع العالمي وما يفرضه على المسلمين المنتظرين

الجانب الثاني؛ وهو الذي أريد أن أتحدث عنه بجانب من التفصيل، وربما يعنينا أكثر من الجانب الأول؛ هو الوضع العالمي الذي يعيشه المسلمون اليوم، والذي يعيشه الناس الآخرون غير المسلمين، ما يسمى سياسيًا - الآن - بالوضع العالمي، هذا الوضع العالمي ماذا يفرض على المسلمين وهم ينتظرون خروج الإمام المهدي (عليه السلام)؟

أريد أن أركز على هذه النقطة بالذات؛ لأننا نحن هنا جزء من العالم، جزء من المسلمين في مختلف ربوع العالم المأهول وجزء من العالم ككل، فما ينتهي إليه الوضع العالمي من نتيجة سنحصل على نصيبنا من تلك النتيجة؛ إن كانت تلك النتيجة خيرًا فلنا نصيبنا من ذلك الخير، وإن كانت تلك النتيجة شرًا فلنا نصيبنا من ذلك الشر.

فإذا كلنا جزء من هذا العالم ينبغي أن نتحرك كما يتحرك هذا العالم. العالم الآن يتحرك بانتظار تغيير لهذا الوضع، كل العالم الآن يتحرك بانتظار تغيير لهذا الوضع.

قبل أن أوضح هذه النقطة بالذات، كيف دخلنا نحن بهذا الوضع نحن المسلمون؟

الطابع السياسي للحضارة الإسلامية

المسلمون يمتلكون حضارة من أهم الحضارات التي جاءت لهذه الدنيا وتعيش في هذا الكوكب، هذه الحضارة التي نسميها بالحضارة الإسلامية دخلت

معترك الصّراع مع الحضارة الغربية؛ أو بتعبير أدقّ الحضارة الأوربية كما يسمّونها.

فعندما تدخل - يعني حضارتنا - معترك الصّراع معناه نحن أيضًا دخلنا معترك الصّراع؛ والإنسان الذي يدخل معترك الصّراع - المفروض - أن لا يدخل بغير سلاح، وأن يحمل معه سلاح على الأقل يدافع به عن نفسه.

كيف أخذت حضارتنا الطابع السياسي حتى دخلت معترك الصّراع؟ والحضارة التي ليس لها طابع سياسي قد لا تسمّى حضارة، وإذا سُمّيت حضارة فلا يهتم بها من قبل الآخرين.

الصّراع يأتي فيما إذا أخذت الحضارة طابعًا سياسيًا.

سأندرج مع هذا من عصر الرسول (صلى الله عليه وآله)، ففي عصر الرسول كانت بدايات اصطباغ الحضارة الإسلامية بالطابع السياسي عندما كان النبي (صلى الله عليه وآله) في مكة قبيل أن يهاجر إلى المدينة، وتمثّل هذا في بيعة العقبة، وإذا رجعنا إلى الوثيقة التي كتبت في بيعة العقبة، ولمن يريد منكم ليرجع لهذه الوثيقة؛ هناك كتاب عنوانه (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) للدكتور محمّد حميد الله (ت: ٢٠٠٢م)^(١)، في هذا الكتاب وثيقة العقبة،

(١) وهو حقيقة من الكتب المهمة جدًّا، بذل مؤلّفه مجهودًا كبيرًا في تجميع هذه الوثائق، فبعض الوثائق عثر عليها في كنائس عند المسيحيين، وثيقة إسلامية بخط علي (عليه السلام) وإيماء الرسول وعليها الختم الشّريف لرسول الله توجد في الكنيسة المسيحية ولا توجد عند المسلمين!! يعني كيف يعطينا هذا عن مدى إهمال المسلمين لما هو مجد ومفخرة واعتزاز حتى يسقط عند أولئك ويعتزون بها مع أنّهم لا يعترفون بنبوة النبي (صلى الله عليه وآله)، لكن لأنّها وثيقة صدرت من إنسان عظيم مرّ في هذا التاريخ

وفيها كيف أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) تعاقد مع الأنصار - يعني مع الأوس والخزرج - على أن يحموه ويحملوا رسالته إلى العالم، وهذا شأن سياسي.

ثم لما هاجر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة المنورة وأنشأ الدولة الإسلامية، وهذا لا خلاف فيه فكل المسلمين وكل العالم - حتى غير المسلمين - يقولون إنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) عندما هاجر إلى المدينة المنورة أقام الدولة الإسلامية، وأول دستور للدولة الإسلامية - ويُعرف بدستور المدينة وبوثيقة المدينة - وضعه النبي (صلى الله عليه وآله)، نظم فيه علاقات المسلمين داخل الدولة الإسلامية، وعلاقة الدولة الإسلامية بغير المسلمين الذين كانوا حوالى المدينة.

هذه الوثيقة (دستور المدينة) - موجودة في هذا الكتاب - تشتمل على أكثر من أربعين بنداً من البنود القانونية التي تُعطي الحضارة الإسلامية الطابع السياسي، وأنها حضارة فيها نظام ينظم شؤون الناس في هذه الحياة.

طبعاً، جعل لجانبها وثائق أخرى لكن كانت هذه الوثيقة هي الوثيقة الأهم والوثيقة الأساسية.

في عهود الخلفاء بعد النبي (صلى الله عليه وآله) - ما يُسمّى بعهد الخلافة الراشدة - كانت هناك وثائق لكنها قليلة يعني ليست بتلك الكثرة ولا بتلك

احتفظوا بها.

هذا الرجل جمع هذه الرسائل، وحتى وثيقة ترتبط ببلدكم هنا - الأحساء - وهو الكتاب الذي وجهه النبي (صلى الله عليه وآله) للمنذر بن ساوى العبدى أيضاً موجود، لكنه ليس بخط علي؛ لأنَّ خط علي متميز ولكن عليه الختم. موجود بزاوية من زوايا أوروبا واستطاع أن يصورها. (منه)

الأهمية إلا وثيقتين:

١. وثيقة كانت من الخليفة عمر بن الخطاب ككتاب وجَّهه إلى أبي موسى الأشعري في القضاء عندما عيَّنه قاضيًا، ويُعرف بكتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري في القضاء؛ أعطى شيئًا من التعليقات حول إدارة شؤون القضاء، هو مرجع من المراجع التي يُرجع إليها وبخاصة في الفقه السُّني، فهم يرجعون إلى كتاب عمر في القضاء، ويأخذون من التعليقات الموجودة فيه، وأكثرها ترتبط بآداب القضاء، وهذا لا نستطيع أن نعدّه جزءًا كبيرًا من السِّياسة؛ هو جزء ولكن ليس جزءًا كبيرًا من السِّياسة، فالقضاء قد يتحقق من دون أن تكون هناك دولة إسلامية قائمة، إلا أنها وثيقة وتُعتبر من الوثائق التي يُرجع إليها عادة.

٢. وفي عهد علي (عليه السلام) كانت الوثائق السِّياسية بكثرة، و(نهج البلاغة) ممتلئ بهذه الوثائق السِّياسية، وأهم وثيقة كانت من الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هي عهده أو كتابه إلى واليه على مصر مالك الأشتر، فعندما ولّاه على حكم مصر وجه إليه كتابًا؛ هذا الكتاب في الواقع من أروع ما كُتب في السِّياسة الداخلية والسِّياسة الخارجية؛ أعطاه بنودًا قانونية لينظّم فيها الشؤون الداخلية للمسلمين في مصر وكذلك الشؤون الخارجية. وهذا العهد عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر - أنا أقدر - لو كان عند غير الشيعة لكُتب بالذهب، ولشرح بآلاف - وليس مئات - الشروح ولاهتُم به اهتمامًا كبيرًا وعُني به عناية فائقة، لكن الذي حصل أنّ هناك عناية لكن قليلة، له بعض الشروح، ولعله من أفضل الشروح هو للدكتور سُني ليس أستاذ شيعي أو عالم شيعي، يعني في حدود اطلاعي على شروح العهد.

بعد علي (عليه السلام) (ت: ٤٠هـ) توقَّفت الوثائق، فما كان هناك وثائق

نستطيع أن نعدّها وثائق ذات أهمية؛ يعني وثائق في العهد الأموي وفي العهد العباسي وفي العثماني، بعد هذا في عهدنا وسوف أتحدّث عن هذا. الحضارة التي تملك دستورًا للحياة وتملك نظامًا للحياة، لديها فلسفة تفلسف فيها نظرتها إلى لكون والإنسان والمجتمع والحياة، هذه الحضارة تُعتبر من الحضارات القويّة، والذين لديهم أطماع لا بدّ أن يحسبوا حسابًا لهذه الحضارة.

الصّراع بين الحضارتين الإسلامية والأوربية

لابدّ أن نفهم أنّ الغربيين دخلوا البلاد الإسلامية واستعمروا البلاد الإسلامية لفترة من الزمن وركّزوا على اختراق الحضارة الإسلامية. سأبدأ الآن بأعطاء فكرة عن الصّراع الحضاري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية أو الحضارة الغربية: بدأوا بعملية الاختراق؛ والاختراق - طبقاً - مصطلح اجتماعي سياسي، يعني أنّه إذا كان هناك جماعة متماسكين ويكونون صفًا واحدًا، وجسمًا واحدًا، تأتي وتحترق هؤلاء وتشقّهم، إذا شققت الصف ضعفت الجماعة، هذا يسمونه اختراقًا. كيف تمّ الاختراق؟

عندما دخلوا البلاد الإسلامية أنشأوا المدارس، يعني باختصار كان بيدهم وسائل التربية والتعليم، ووسائل الإعلام - طبقاً - الإعلام كان في ذلك الوقت بسيطًا وليس كما هو الآن وفرضوه على المسلمين فرضًا.

والحضارة الغربية بدأت تتحرّك هذا التّحرك من بداية القرن التاسع عشر يعني سنة ١٨٠٠م أو أزيد بقليل، في ذلك الوقت كان المسلمون في حالة ضعف من بعد سقوط الدّولة العباسية ومجيء المغول والدّول المتفرّقة ومجىء الدّولة

العثمانية، ولم يكن عندهم الاستعداد الفكري في الوسائل والأساليب، فهم لديهم الفكر لكن في الوسائل والأساليب لم يكن لديهم نفس الاستعداد الموجود عند الغربيين.

الغربيون استعملوا وسائلهم واستعملوا أساليبهم ودخلوا وهيموا على المسلمين وأصبحت الحضارة الإسلامية تعاني من شيء يشبه الانهزامية، وبقي هذا الوضع إلى بعد الحرب العالمية الأولى - تقريباً - يعني إلى أوائل القرن العشرين ١٩١٤ م.

في ١٩٢٠ م بدأ المسلمون يتحرّكون في الدفاع عن أنفسهم، هم لا يريدون أن يخرقوا الحضارة الغربية، ولكن يريدون أن يدافعوا ضدّ هذا الغزو الأوربي الذي دخل إليهم وهيمن على حضارتهم، فكانت ثورة العشرين بالعراق وكانت الثورات الأخرى.

قام المسلمون أيضًا بفتح مدارس أهلية وقاموا بعمل إصدار مجلات وإصدار كُتب وفتح مؤسسات طباعية، هذه الوسائل التي تساعد على مقاومة الفكر الأوربي يحرك بها المسلمون ليدافعوا.

بدأ الصّراع - الآن - بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية في البلاد الإسلامي؛ المسلمون يريدون أن يسترجعوا حضارتهم والغربيون لا يزالوا يهاجمون هذه الحضارة، وكُتب عن هذا الشيء الكثير.

واستمرّ الوضع على هذا إلى فترة قريبة، وقلنا الفترة التي مرّت لم يصدر من المسلمين دستور عدا الوثائق التي صدرت.

يمكن أن نستخلص من الفقه دستورًا؛ لكن لم يُستخلص منه، وبقي الوضع إلى سنة ١٩٧٩ م وهي سنة الثورة الإسلامية في إيران، ووُضع الدستور

الإسلامي في إيران.

عندما صدر الدّستور كان له ردود فعل كبيرة إيجابية وسلبية، من ردود الفعل
الاجيائية:

١. أن صدر البيان العالمي لحقوق الإنسان عن المجلس الإسلامي، وهو
مؤسسة موجودة في بريطانيا وتضمّ مختلف المذاهب الإسلامية، عقدوا مؤتمراً في
باريس ووضعوا البيان العالمي.

البيان العالمي متأثر إلى حدّ كبير بالدستور الإسلامي مع بعض الخلافات
الفقهية، هم نوهوا بالدستور الإسلامي وأطروا عليه إلى حدّ كبير.

٢. عُقدت ندوات لدراسة هذه الحضارة الإسلامية التي عاد لها وجهها
القانوني منها: الندوة العالمية لاتحاد العلماء الاجتماعيين المسلمين؛ هذه الندوة
عُقدت لدراسة النّظرية السّياسية الإسلامية، ما كان الغرب يسمّح بدراسة
النّظرية السّياسية الإسلامية، هذه عقدت سنة ١٩٨٢م، هذه الندوة عقدت في
أنديانا في أمريكا، وأيضاً صدرت وثيقة طويلة مفصّلة في النّظرية السّياسية
الإسلامية.

٣. ثم عُقدت ندوة في اليونسكو^(١) سنة ١٩٨٢م.

هذا من ردود الفعل التي كانت.

٤. من ردود الفعل التي كانت أن أفتتح ما يقرب من ١٠٠ مركز دراسات
لدراسة الفكر الشّيعي والشّيعية، عندما أقول لدراسة يعني دراسة فعلاً دراسة،

(١) اليونسكو مقرّها في فرنسا، وهي تتولّى الجانب الثقافي في العالم كلّه، ولها مكاتب في كلّ
أنحاء العالم؛ يعني أنّها من المؤسسات المهمّة جداً. (منه)

أنا دخلت بعض المؤسسات ورأيت عندهم مكتبة كبيرة فيها جناح خاص عن الشيعة من أول كتاب طبع عند الشيعة حتى الآن، كما عندهم عن القضايا الأخرى التي ترتبط بالشيعة والتشيع.

٥. في جامعة^(١) في هذه السنة سنة ١٩٩٣م عُقد أيضًا مؤتمر لدراسة الشيعة والتشيع.

٦. في تركيا لمدة ثلاث سنوات مجموعة من العلماء في المعهد الإسلامي التابع لجامعة اسطنبول قاموا بدراسة الشيعة والتشيع، وذهبوا إلى إيران ودرسوا التشيع على الطبيعة - كما نقول - وقابلوا مجموعة من العلماء ثم عقدوا ندوة ومؤتمرًا تكلموا فيه عن الشيعة وعن التشيع وعن الفكر الشيعي وكان فيه تركيز بما يرتبط بموضعنا أيضًا.

كل هذه الندوات التي تُعقد وتعدّ عن الشيعة والتشيع فيها تركيز على أنّ الفكر الشيعي هو الفكر الأقوى في مجال الصراع مع الحضارة الغربية. قلت إنّ هناك صراع قائم بين الحضارتين، وبإمكانكم - لمن يريد التوسع أكثر - هناك موجود في الأسواق كتاب (المواجهة بين الإسلام والغرب) للدكتور محمّد مورو، فيه نقولات كثيرة لزعماء من أمريكا ومن أوروبا، زعماء سياسيين ولمفكرين عالميين حول هذا الصراع وحول الحضارة الإسلامية.

٧. أيضًا من ردود الفعل انعقاد المجمع العالمي لأهل البيت في طهران، أيضًا هذا يُعنى بدراسة الشيعة، كما أولئك يعنون مع اختلاف الهدف؛ فأولئك يهتمون بدراسة الشيعة والتشيع لأهدافهم، وهذا يهتم مع اختلاف الهدف وبين

(١) لم يظهر اسم الجامعة في التسجيل.

الأهداف الأخرى. هذه الدراسات ونتائجها.

٨. وتقرؤون أو تسمعون عن محاضرة الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا في المعهد الإسلامي بجامعة إكسفورد؛ نوّه بالحضارة الإسلامية، ووجّه نداءً إلى الغربيين بأنّ المسيحية الآن غير قادرة على أن تقضي على المشكلات الأخلاقية الموجودة في المجتمعات الغربية، والإسلام والقرآن - والتعبير بالقرآن - هو القادر على أن يحل هذه المشكلات.

أمس أو قبل أمس كنتُ أقرأ في الصحف: إنّ بريطانيا بدأت تخطو خطواتها لاتخاذ الدين أو الأديان - كما عبّر الإعلام - كمادة دراسية وتوجيهية في المدارس.

الصراع الحضاري والنتيجة النهائية

النتائج والتوقعات التي تُذكر من السياسيين أو من المفكرين - وكلّها منشورة - والتنبؤات والتقديرات هي في أنّ الإسلام سيخرج من هذا الصراع منتصراً وستنهار الحضارة الغربية، من هنا كان بعضهم صريحاً في هذا، مثل نيكسون (ت: ١٩٩٤م) الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية، أشار في مذكراته، أنّه لابدّ من الإجهاز على الحضارة الإسلامية^(١)، أن نجهاز على هذه الحضارة وإلاّ ستنتصر.

لماذا؟ وأنا أشرتُ في بعض محاضراتي أنّ المؤشّر في الرّسم البياني - الجامعيون

(١) تحدّث عن مسألة استخدام القوّة العسكرية، فيما لو تعرّضت المصالح الأمريكية في المنطقة للتهديدات حتى من القوى الثورية؛ في إشارة للثورة الإسلامية الإيرانية، لاحظ: مذكرات الرئيس نيكسون: ٨٦ - ٨٧.

منكم وطلاب الثانوية يعرفونه - في سنة ١٩٩٣ م وهي هذه التي انتهت قريباً، رأوا أن المؤشر الحضاري للحضارة الغربية بدأ ينحدر بسرعة والمؤشر للحضارة الإسلامية بدأ يصعد بسرعة، وأنا رأيت الرسم البياني في بريطانيا، هم يقدرّون - الآن - أن نقطة التصادم بين الحضارتين لا تتجاوز سنة ٢٠٠٠ للميلادي، وقد يحصل التصادم قبل سنة ٢٠٠٠ م.

هذا يفهم منه الكثيرون منّا أنّه نوع من الإرهاصات لخروج الإمام المنتظر (عليه السلام). وأقول أرجو أن لا يخرج الإمام المنتظر ونحن لم نكن قد مهّدنا له بشيء، ونحن نحسب أنفسنا عليه؛ فأنا شخصياً أخجل أن أواجه الأمام (عل الله فرجه) وأنا لم أمهّد له بأيّ شيء، حتى بكلمة تكتب أو كلمة تُقال؛ يعني أنت محسوب عليه ولا تعمل على التمهيد!

نحن بحاجة الآن إلى حملة ثقافية مكثّفة لنشر فكر أهل البيت في داخل صفوفنا وفي الخارج.

إيران - حقيقة أقول هذا وأنا لا أريد أن أمدح، فإيران دولة وقادرة على أن تمدح نفسها وتسير بنفسها؛ لكن هذا واقع موجود - خطت خطوة جيّدة في هذا المجال وتعمل الآن على دائرة معارف، وأيّ أمة لا تمتلك دائرة معارف لا تُعتبر أمة متحضّرة.

لماذا؟ الآن الغربيون لا يعتبرون أنّ الأمة العربية أمة متحضّرة؛ لأنّها لا تملك حتى دائرة معارف، التي هي من أبسط الأشياء. بدأوا يعملون دائرة معارف، ودائرة معارف أخرى لفقه أهل البيت (عليهم السلام)، ومؤسسات ضخمة كبيرة ويدرس فيها علماء من مختلف أنحاء العالم، كذلك أصدرُوا معجم للفقه

الجعفري يحتوي ٦٠٠ كتاب. لما أقول فقه يعني قانون، ولن تجد أمة تملك هذه الثروة من الفقه هذه الثروة من القانون وهذه متون ليست موسوعات، وإذا أضفنا إليها الموسوعات يعني شيء ضخم جدًا.

الآن يترجمون ٢٠٠ رسالة عملية، إلى اللغات الأخرى؛ ليعرفو العالم فكر أهل البيت، حتى يقولون إن كنتم تريدون النظام العالمي الذي يسعد هذا هو النظام العالمي الذي يسعد.

عندهم الآن ١٠٠ دورية بين جريدة وصحيفة، خمس وعشرين باللغة العربية وخمس وعشرين باللغات الأخرى، والباقي طبعًا بلغتهم الفارسية.

هذا الإسهام موجود، وليكن عندنا نحن إسهام أيضًا وأنا قد ذكرتُ هذا ليس دعاية لإيران، إنما أريد أن أقول هذا إسهام لإخوان لكم في بلاد أخرى، فليكن لكم إسهام أيضًا في هذه الناحية.

السنة الآن، أنا أقدر حقيقة وسمعت أحدهم يقول لو خرج الإمام المهدي أول من نؤمن به نحن وليس الشيعة؛ لأنهم أيضًا يؤمنون بالإمام المهدي.

أقول: أعمالهم هذه التي يقومون بها من مجلات وصحف وكُتب تبشر بالإسلام هي تمهيد، أنا اعتبرها هي تمهيد لخروج الإمام المهدي، كلما انتشر الفكر الإسلامي من أي مذهب كان، هو يمهد أرضية للإمام المهدي (عليه السلام)، لكن نحن أولى، نحن الذين ننتظر الإمام المهدي.

لا تقتصر على الدعاء باللهم قرب فرجه، وندعوا ونحن نعرف أن دعاءنا غير مستجاب؛ لأن أعمالنا وبيئاتنا ملوثة وحجبت الدعاء، وأنت تقرأ في دعاء كميل (اللهم اغفر لي الذنوب التي تحجب الدعاء)، دعاؤنا محجوب ولا يرضي الإمام

المهدي أبدًا؛ لأنك تدعو من نوع العادة ولا يخرج الدعاء من قلبك، لو كان الدعاء يخرج من قلبك لعملت ممهّدًا للإمام المهدي.

وأقول كلمة أنهي بها الموضوع: في رواية موجودة والرواية إن لم تكن متواترة فهي قريبة من التواتر، وموجودة في الكتب السنية وتُروى في كتبنا (إذا رأيتم الرّايات السّود قد أقبلت من خراسان، فأتوها ولو حبّوا على الثلج فإنّ فيها خليفة الله المهدي)^(١).

فالذي أرجوه أن نتحرّك، أنا لا أقول نستعد عسكريًا لأننا لسنا بمستوى هذا، أقول نستعد فكريًا ونحمل فكر أهل البيت؛ نكتب وننشر ونتحدّث ونُحاضر كل واحد باستطاعته.

العالم كلّهُ الآن يتحرّك، وأنت الآن في معترك الصّراع سواء ترضى أو تأبى، وستصلك نتيجة الصّراع إن خيرًا وإن شرًّا؛ فحاول أن تساهم بشيء ما، حتى لا يخرج الإمام المهدي ونتأسّف، الأسف لا يفيد.

فأرجو أن نكون بمستوى قضيتنا، وبمستوى رسالتنا.

والحمد لله رب العالمين.

(١) الشّيخ المجلسي، بحار الأنوار ٥١ : ٨٢؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصّحیحین ٥٠٢ : ٤.

الإمام محمد بن الحسن (٣)

من ينتظر من؟ (*)

(*) محاضرة أُلقيت عام ١٤١٤ هـ، في حسينية الناصر في مدينة سيهات، في البرنامج
الرّمضاني الرَّابع.



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبينا محمّد وآله الطيبين
الطاهرين.

إلام انتظاري يا بن فاطمة الزهرا	ألا تنقضي أعوام غيبتك الكبرى
بها طال ليل الدين حتى كأننا	نمطي بها باعاً إذا ما دنت شبرا
قضينا بها ألفاً ونيفاً وما انقضت	أما ملئت ظلماً أما ملئت جورا
فدينك قم من غير أمر وإنما	دعوناك أن تبدي بنا النهي والأمر
وتجلبها قلب البطون شوازيبا	ظوايح لا تبقي ظلماً ولا كفرا
تقل رجالاً كالحديد قلوبها	بأعينها ترنوا لأعدائها شزرا
فأكبادنا حراً وأعيننا عبرا	على ديننا طورا وأنفسنا طورا
نرى فئتنا فيهم سهاما مقسما	وأيدنا من فئتنا أصبحت صفرا
على أيها يا غيرة الله صبرنا	وكم من دم الله فيهم مضى هدرا ^(١)

عنوان الموضوع هو (من ينتظر من)، وهذا العنوان عليه صبغة صحفية أكثر
مما عليه صبغة علمية، وهذا اللون من العنوان يلفت النظر ويجلب الانتباه.

(١) جزء من قصيدة للشيخ أحمد حسن القفطان.

هل نحن ننتظر الإمام المهدي (عليه السلام) أم هو الذي ينتظرنا؟
(نحن ننتظر الإمام)، هذا واضح فنحن ننتظر ظهور الإمام ليقوم بواجباته
الشرعية وهو بين ظهرانيها.
أما (هو ينتظرنا)؛ ماذا يعني؟ ماذا ينتظر منا؟ إذا كان الإمام هو الذي
ينتظرنا؛ فماذا ينتظر منا؟
هذا الذي ستدور حوله المحاضرة.

دولة الإمام المهدي واقتراضات التأسيس، استعراض روائي

من المؤكّد في عقيدتنا؛ نحن الشيعة الإمامية بشكل خاص والمسلمين بشكل عام، ظهور الإمام المهدي؛ لورود الأحاديث المتواترة عن النبي (صلى الله عليه وآله) في موضوع ظهور الإمام المهدي، وكذلك الأحاديث المتواترة عن أئمة أهل البيت من الإمام علي (ت: ٤٠هـ) (عليه السلام) إلى الإمام الحسن العسكري (ت: ٢٦٠هـ) (عليه السلام)، والروايات الأخرى المروية عن كثير من الصحابة أيضاً، والمأثورات التي أثرت عن العلماء.

كل هذه النصوص بمجموعها التي تبلغ الآلاف تدلّ على ظهور الإمام المهدي، ولا بدّ من ظهور الإمام المهدي.

وللإجابة على السؤال المطروح: هناك عدّة افتراضات عند ظهور الإمام المهدي، أو تساعد على ظهور الإمام المهدي والقيام بواجبه.

واجب الإمام المهدي يختلف إلى حدّ ما، من حيث التطبيق لا من حيث النظرية؛ من حيث النظرية لا يختلف عن واجب جدّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن واجبات آبائه الأئمة (عليهم السلام)، وإنّما من حيث التطبيق هناك اختلاف.

في التطبيق؛ الإمام المهدي عندما يظهر يقيم دولة عالمية، فالرسول (صلى الله عليه وآله) لم يتسنّ له أن أقام الدولة العالمية، وكذلك من جاء بعد الرسول - سواء كان من الأئمة أو من غير الأئمة - لم يتسنّ له إقامة الدولة العالمية. والقرآن يقول: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(١)؛ معنى هذا أن الإسلام يكون هو النظام

العالمي الوحيد، وهذا لم يتحقق على مختلف مدايات التأريخ التي مرَّ بها المسلمون.

فإذاً لابد لهذا أن يتحقق على يد الإمام المهدي.

من هنا تأتي الافتراضات؛ إذا كان الإمام المهدي عندما يظهر يهيمن على العالم كله ويقيم دولة عالمية واحدة تخضع لنظام إسلامي موحد، هنا يأتي عندنا أكثر من افتراض وأكثر من احتمال، وسوف أتحدث حول هذه الافتراضات والاحتمالات من خلال النصوص والروايات الواردة، وكذلك أيضاً هي من ناحية عقلية لا تخرج عن هذه الافتراضات والاحتمالات:

الافتراض الأول

أن الله سبحانه وتعالى يحقق هذه الدولة وهذا النظام على يد الإمام على نحو المعجز؛ يعني لا يحتاج (عليه السلام) إلى أي مساعدة، ولا يحتاج أن يبذل هو (عليه السلام) جهداً متواصلاً من أجل الوصول إلى هذا الهدف، كما أنه لا يحتاج منّا أن نقوم بأي مساعدة، ويتحقق هذا على نحو المعجز. أما كيف يتحقق؟ هذا لا نعلمه، ونعلمه عندما يظهر.

هناك بعض الروايات قد تشير إلى هذا، ربما تؤوّل بتأويلات أخرى لكن قد يُستظهر منها هذا المعنى؛ وهي الروايات التي تقول: يُصلحه الله في ليلة^(١)، لعلّه يفهم منها هذا المعنى: إنَّ الهدف سيتحقق على يد الإمام المهدي وعلى نحو الإعجاز. هذا الافتراض الأول.

(١) لاحظ: كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ١٥٢.

الافتراض الثاني

أن يقوم الإمام المهدي كما قام أيّ داعية لأيّ مبدأ، كجده رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كالدعاة والمصلحين الآخرين الذين دعوا إلى مبادئ معينة وقاموا بأدوار إصلاحية معينة؛ يعني يتبع الطريق المألوف هو أن يخرج ويتحرك بشكل سرّي كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحرك إلى ثلاث سنوات - الفترة السّرية - ثم أعلن الدّعوة. يتّصل بالأفراد ويدعوهم إلى اعتناق هذا المبدأ أو إلى الاشتراك معه في النّهوض بهذه الدّعوة وتطبيق هذا المبدأ، ثم قد تنتهي المرحلة السرية - والتي قد تطول وقد تقصر - فيعلن حركته بعد أن تصبح الحركة قوية تستطيع أن تصمد وتستطيع أن تجابه وتقاوم حتى تصل إلى الهدف، كما فعل الأنبياء السابقون وكما فعل جميع الدّعاة والمصلحين.

فالمعجز لا يتدخل هنا لا من قريب ولا من بعيد.

هذا الافتراض أيضاً هناك روايات تشير إليه؛ وهي الروايات التي تقول إنّ عدد أنصار الإمام المهدي بعدد أصحاب بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر شخصاً^(١).

وأيضاً هناك روايات تشير إلى أن الإمام المهدي عندما يريد الخروج يتّصل بهؤلاء، ويهيئ معهم للحركة، وكيف تنطلق الحركة، ويعطي التّعليمات ويتحرك فيما إذا رأى أنّ المرحلة السّرية مع هؤلاء قد انتهت وعليه أن يبدأ المرحلة العلنيّة.

الافتراض الثالث

هو أنّ الإمام المهدي (عليه السلام) يخرج وهناك دولة قد مهّدت له؛ يعني

(١) لاحظ: كمال الدّن ونعمان النعمة، الشّيخ الصدوق: ٢٦٨.

هيأت له متطلبات النهوض من نشر الفكر، ومن السلاح الذي يحتاج إليه، ومن الجنود الذين يحتاج إليهم، وهو يأتي ويتسلم هذا ويتحرك. هناك روايات تشير إلى هذا^(١).

المقارنة بين الافتراضات

إذا حاولنا أن نقارن بين هذه الروايات: من حيث الكثرة؛ الروايات التي تقول بالتمهيد هي أكثر؛ يعني إذا أخذنا إحصائيات ونسب فإن الروايات التي تقول بأنه يخرج ويصلح على نحو الإعجاز قليلة جدًا.

ومن هنا تأولها بعضهم بتأويلات أخرى ليستبعد هذا المعنى.

الروايات التي تقول أنه يعتمد على أنصاره ويتحرك مع أنصاره كما يتحرك أي داعية وأي مصلح آخر، تأتي من حيث الكثرة أكثر من الروايات الأولى لكنها أقل بكثير من الروايات التي تشير إلى التمهيد.

فإذا من حيث الكثرة، الروايات التي تشير إلى التمهيد أكثر.

كذلك من حيث الاعتبار، الروايات التي تشير إلى أن هناك من يمهد لظهور الإمام المهدي فيها روايات معتبرة؛ وهي من الكثرة قد تصل إلى حد الاعتماد عليها.

بينما الروايات الأخرى قد تكون من ناحية الاعتبار يؤخذ على أسانيد بعضها بعض الملاحظات أو بعض الإشكالات كما يقولون.

(١) لاحظ: بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي ٥١: ٣٨.

اتجاهات الواقع في تأسيس دولة الإمام المهدي

إذا حاولنا الآن نتعرّف على هذا من خلال الواقع:

هذا ما تقوله الروايات والنصوص المروية عن النبي (صلى الله عليه وآله)، وكذلك عن الأئمة (عليهم السلام)، وأيضاً الروايات الأخرى المروية عن الصحابة تشير إلى التمهيد؛ في أنّ هناك دولة تبقى قائمة على الحق وهذه الدولة هي التي تهيئ لنهضة الإمام المهدي (عليه السلام) متطلباتها، وتقدّم كلّ هذا للإمام المهدي فيتحرّك الإمام المهدي؛ وهناك قاعدة وهناك أرضية ينطلق فيها وقاعدة يعتمد عليها.

لو رجعنا إلى الواقع الآن، الواقع العالمي الذي نعيشه؛ ماذا يساعد؟ هل يساعد الواقع على الافتراض الأول؟ أو الافتراض الثاني؟ أو الافتراض الثالث؟

الوضع العالمي، جولة في التاريخ الحديث

نأخذ صورة عن الوضع العالمي الآن، ولعلّ الشيء الكثير منه أصبح معروفاً لديكم:

١- انهيار الاتحاد السوفيتي، وانهياره كان داخلياً، وكان - في الواقع - غير متوقّع؛ يعني ما كان هناك توقّع لانهيار الاتحاد السوفيتي لكن شاء الله أن ينهار وانهار.

ماذا خلّف انهيار الاتحاد السوفيتي؟ خلّف هذه الدول الموجودة الآن وما يوجد فيها من ويلات، خلّف طبقة متموّلة في أعلى درجات التّمول. والآن نقرأ في الصحف أنّ بعض هؤلاء الأثرياء من بقايا الاتحاد السوفيتي يذهبون إلى أسواق (منهاتن) في نيويورك في أمريكا ليشتروا المجوهرات بأعلى ما تكون.

٣٨٠ ائمة اهل البيت عليه السلام ودورهم في بناء المجتمع الإسلامي

إلى جانب هذه الطبقة القليلة الثرية، طبقة واسعة جدًا معدومة ومسحوقة سحق تمامًا؛ هذه الطبقة المسحوقة أصبح عندها يأس من أن الذين اعتمدت عليهم في أن يرفعوا من مستواهم عند ما قالوا لهم أن الاشتراكية تساوي بين الغني والفقير وترفع من مستوى الفقير إلى مصاف الغني، لم يتحقق هذا فأصبح عندهم يأس من هؤلاء الدعاة والمصلحين أو مدعي الإصلاح الذين كانوا يعرفونهم. وعندما يحصل يأس، في مقابل هذا اليأس يحصل شيء من التطلع إلى مصلح آخر غير هؤلاء، هذه ظاهرة موجودة عند الناس.

الوضع الموجود في دول الاتحاد السوفيتي حالياً بما يُنشر ويُذاع يتطلّب مُصلحًا يقوم بدور انتشال هذا الواقع السيئ الذي انتهى إليه شعب أو شعوب الاتحاد السوفيتي.

٢- الدولة الأخرى الضخمة التي كانت تتوازن وتتعاقل مع الاتحاد السوفيتي هي الولايات المتحدة الأمريكية، وهي مما يُكتب ويُقال - طبقًا لهذا ليس من عندي - من ناحية اقتصادية تعاني من اهتزازات داخلية عنيفة قد تؤدي إلى الانهيار من الداخل كما انهار الاتحاد السوفيتي.

وتعاني أيضًا من تحلل خلقي فظيع، والإحصائيات التي تُنشر الآن كثيرة جدًا، المحاولات لتلافي هذا أصبحت تُخفق ولا تصل إلى تحقيق أي شيء.

إذا الناس أيضًا أصبحوا فيما يشبه اليأس، وأصبحوا متطلعين إلى مصلح آخر غير هؤلاء المصلحين.

المناداة بالنظام العالمي البديل

من هنا تسمعون بالمناداة لإيجاد نظام آخر ونظام بديل. ما معنى نظام بديل؟

ما هي الأنظمة التي كانت وأخفقت حتى نحن نفتش الآن عن نظام بديل؟

١. السياسة

من حيث الحكم، كان هناك النظام الديكتاتوري والنظام الديمقراطي؛ الديكتاتوري كان يتمثل في حكم الاتحاد السوفيتي، والديمقراطي يتمثل في حكم الولايات المتحدة الأمريكية:

- النظام الديكتاتوري: يعني حكم الفرد أو حكم الأفراد.

- النظام الديمقراطي: يعني حكم الشعب.

هذا الوضع الذي يُشاهد والتخلخل الذي حصل في البنية الاجتماعية لهاتين الدولتين دَلَل - وبوضوح - على أن الديكتاتورية فاشلة وعلى أن الديمقراطية المدعاة أيضًا فاشلة. قد تكون فاشلة من حيث النظرية والتطبيق، وقد تكون فاشلة من حيث التطبيق؛ يعني هؤلاء يدَّعون أنهم يوفرون للإنسان حقوقه، لكن عندما يأتون إلى التطبيق يقع الخلل في التطبيق، يحصل هناك شيء من التلاعب ويقع الخلل في التطبيق.

٢. الاقتصاد

من حيث الاقتصاد كانت الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي، والرأسمالية في المعسكر الغربي في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ومن يتبع المعسكر الغربي؛ الاشتراكية لم تحقق أهدافها وانتهت، والحتمة التاريخية التي كان يقول بها كارل ماركس (ت: ١٨٨٣م) - والذي يعبر عنه الاقتصاديون بـ(نبي

الشيوعيين)، والذي نادى بأنه سيُنزل جنةً المتقين لهؤلاء الذين يعتنقون الاشتراكية أو يعتنقون الشيوعية - لم يتحقق منها شيء وإنما اقتطع قطعةً من الجحيم ووضعها لهؤلاء ووضعهم فيها.

هذا هو الواقع الذي حصل، فالاشتراكية كنظام اقتصادي أخفقت وانتهت ولا مجال لعودتها بعد هذا الإخفاق الذي وصلت إليه.

الرأسمالية الآن، من يتابع ما يُكتب في الدوريات الاقتصادية والكتب الاقتصادية؛ يجد شركات ضخمة بدأت تُصَفِّي، ومصانع ضخمة بدأت الآن تُصَفِّي ومصانع ضخمة أصبحت تستجدي دول البترول لإنقاذ الوضع المنهار لذلك المصنع أو لتلك الشركة الكبرى. الديون أصبحت بمستوى عالٍ جدًا حتى أن كثيرًا من البنوك أصبحت لا تستطيع أن تُقرض، وجدولة الديون أصبحت مستمرة، وهذا يعني أن الرأسمالية أصبحت تتخبط وأي نظام يتخبط ينتهي من غير شك.

فالآمال التي كانت تعقدها البشرية على الاشتراكية من جانب، وعلى الرأسمالية من جانب هذه الآمال خابت، هذا من ناحية اقتصادية وباختصار.

٣. العقيدة

من ناحية العقيدة هناك المسيحية والعلمانية؛ ولا يوجد هناك في تلك البلدان انتشار للإسلام كما هو هنا.

المسيحية نتيجة الثورات من الثورة الفرنسية وما بعدها أصبحت تعيش داخل الكنائس وتُعنى بالجانب الأخلاقي في حدود ضيقة، وذكرت لكم أن الأمير تشالز ولي عهد بريطانيا في محاضراته التي هزّت العالم هزًّا، والتي ألقاها في

المركز الإسلامي في جامعة أكسفورد خاطب الكنيسة وبكل صراحة بأنها أخفقت، فلم تستطع أن تُصلح أخلاقيات الناس، من هنا قال لابد وأن نرجع للقرآن وإلى الإسلام؛ لنأخذ بأخلاقيات القرآن وأخلاقيات الإسلام لننقذ هذا الوضع الذي انتهينا إليه.

مقابل المسيحية هي العلمانية، والعلمانية تعني لا عقيدة، تعني الأخذ بالعلم وطرح الدين وطرح العقيدة الدينية، لماذا؟ لأنهم يذهبون إلى أن الدين ليس من صنع الله تعالى وإنما هو من صنع البشر؛ لأسباب يذكرونها هناك، ويمكن أن تتعرفوا على هذه الأسباب بالرجوع إلى علم الاجتماع الديني - فرع من فروع علم الاجتماع - يُذكر هناك عن نشأة الدين، كيف نشأ الدين؟ ولن تجد فيما يذكره هذا الفرع أن الدين من الله، وإنما هو من الإنسان؛ ولأنه من الإنسان، وأخفقت المسيحية أو الكنيسة، استبعدوا الدين وقالوا نعتمد على العلم. قلنا نعتمد على العلم! ولا يوجد أفضل من العلم، لكن ما الذي انتهى بنا إليه العلم؟ هذه الإحصائيات الضخمة: يكون عندنا ٥٠ مليون حالة إجهاض مثلاً، وهناك إحصائيات كثيرة، أنا لا أريد أن أستعرض هذه الإحصائيات؛ يمكن الرجوع إليها في بعض الكتب كـ (الإسلام في مواجهة الغرب)^(١)، كتيب صغير ويعطي إحصائيات كثيرة وغيرها الكثير.

(يونسكو) تعطي إحصائيات سنوياً، المنظمات مثل (منظمة الصحة العالمية) والمنظمات الأخرى تُعطي إحصائيات، هذه الإحصائيات تكشف أن العلم متجه

(١) هناك كتب كثير بهذا العنوان، منها: الغرب في مواجهة الإسلام: معالم ووثائق جديدة، لمازن مطبقاني؛ والإسلام في مواجهة الغرب، للكاتبة الأمريكية مريم جبيلة.

اتجاهًا ماديًا بعيدًا كلَّ البُعد عن الجوانب الروحانية والجوانب الأخلاقية، فإذا كان بعيدًا كلَّ البُعد فلا يستطيع أن يصلح من سلوك الناس. يستطيع أن يوفر اقتصاديات فيما إذا كان هناك نظام عادل يرعى هذا العلم، أمّا أنه يُهيئ لنا تعاليم أخلاقية تُصلح السلوك فهذا لم نجده من العلم أبدًا.

ولذا نجد هذا التّخلف وهذا الانهيار، هذا كلّ دعا الناس إلى أن يفتشوا عن النّظام البديل، وما عادوا يؤمنون الآن بهذه الأنظمة التي جرّبوها وجربوها حوالي نصف قرن وبعضها أكثر من نصف قرن بل ما يقرب من مائة عام، هذه الأنظمة هي تحت التّجربة وهي تأخذ في الإخفاق، فالناس أصبحوا في يأس وأخذوا يفتشون عن النّظام البديل الذي يوجد توازنًا، يوجد عدالة، يوفر للإنسان حقّه كإنسان؛ بالشّكل الذي يعيش حياة حرّة كريمة معزّزة.

لا يوجد نظام - كما هم يقولون - إلّا الإسلام، وأظنّ كان هنا كتاب يباع باسم (الإسلام النظام البديل)، وكثير منهم الآن يدعوا إلى الإسلام كنظام بديل لهذه الأنظمة.

لماذا؟ قد نقول - مثلاً - إنهم شاهدوا التّجربة التاريخية التي مرّ بها الإسلام أيام الرسول (صلى الله عليه وآله).

قد نقول لأنهم لم يجربوا الإسلام ويريدون أن يجربوا الإسلام.. نحن نرحب بهذا.

على أيّة حال، الآن هناك مناداة قويّة من كثير من المفكرين - وبعضهم أسلم لهذا - إلى الدّعوة للنّظام البديل، والنّظام البديل هو الإسلام ولا يوجد غير الإسلام.

الإسلام، الشيوعية والديموقراطية مقارنة من الواقع

الآن أمريكا بما لديها من أطماع في الثروات الموجودة في العالم لا تزال تدعوا إلى النظام الديموقراطي؛ لكن بالشكل الجديد الذي تدّعيه، الناس جرّبوا الديموقراطية وجرّبوا القائمين على الديموقراطية؛ الديموقراطية لا يوجد فيها العنصر الموجود في الإسلام وهو الذي أريد أن أُشير إليه: الديموقراطية لا تقوم على أساس من عقيدة معينة، الشيوعية الاشتراكية كانت تقوم على أساس من عقيدة، لكن الديموقراطية لا تقوم على أساس من عقيدة معينة. بينما الإسلام يقوم على أساس من عقيدة التوحيد؛ وعقيدة التوحيد تعني أن أيّ تصرّف يقوم به المسؤولون عن النظام هم مسؤولون أمام الله.

علي بن أبي طالب كان يستطيع أن يأخذ من بيت مال المسلمين، باستطاعته أن يبني العِمَارَات، وأن يمتلك ما شاء الله؛ لكنه يشعر - وعنده عقيدة وإيمان - بأنه سيحاسب من قبل الله، فلا يقدم على هذا.

هذا العنصر الذي يكبح جماح المسؤولين من أن يقوموا بأطماعهم غير موجود في الديموقراطية وهو موجود في الإسلام.

قد تقول أن في الإسلام حُكَّام يبتزّون هذه الأموال! في التاريخ موجود وفي الحاضر موجود، لكن هذا ليس هو الإسلام؛ هذا جاء من تقصير المسلمين في محاسبة الحُكَّام؛ فلأن هذه الأموال التي تؤخذ هي حقوق المسلمين فأنت مسؤول أن تدافع عن حقّك، أنت لم تدافع عن حقّك.

فهذا فرق نلمسه الآن، والآخرين يلمسون هذا الفرق بين الديموقراطية وبين الإسلام؛ ولذا المناداة الآن للنظام الديموقراطي كنظام عالمي تجد تعليقاً كثيراً جداً عليها، لأنها مرّت بالتجربة.

والحكم الديمقراطي ليس فيه ضوابط روحية تضبط الحاكم من ذاته؛ فمن هنا نجد الآن انجاءاً قوياً إلى الدَّعوة للإسلام كنظام بديل وكنظام عالمي يقيم دولة عالمية.

كَلَّ هذا جعل الناس يتطلَّعون إلى المصلح، وهناك يهتمون بهذه القضايا أكثر مما نهتم نحن هنا؛ يهتمون في المستقبل كثيراً، يهتمون بالمصير كثيراً. نحن نهتم بالحاضر، المهم أن نملأ البطن ونشبع الجنس؛ هذا أهم شيء عندنا نحن، أمَّا أكثر من هذا قد نفكر في أن نؤدِّي العبادات حتى لا نحاسب يوم القيامة؛ أمَّا المستقبل! عندنا كلمة نردُّها (المستقبل غيب، ولك السَّاعة التي أنت فيها).

هم يفكرون في المستقبل، ماذا سيكون هذا المستقبل؟ من هنا تجد تطلَّعاً للمصلح، وإذا كنت تريد المتابعة فهناك جمعيات جديدة الآن وكثيرة؛ حتى من أساتذة جامعات أصبحوا يهتمون إلى هذه الجمعيات، وهذه الجمعيات تُعنى بالتنبؤ بالغيب، هذه الجمعيات تُغلها أن تتنبأ بالمستقبل؛ أن تتنبأ بالغيب وماذا سيحدث للعالم في المستقبل؟ ورأيت كتاب (تنبؤات نوستر داموس) الفرنسي الذي تُرجم إلى اللغة العربية، والذي تنبأ بوقوع أحداث ووقع كثير من هذه الأحداث التي تنبأ بها، وأيضاً التنبؤات الأخرى الباقية يتوقعون حدوثها.

كَلَّ هذا دفع الناس عموماً للتطلع إلى مجيء مصلح عادل ينقذ الإنسانية مما انحدرت إليه.

الإسلام الشيعي وتقديم النظام العالمي البديل

انفتح الغرب على الإسلام الشيعي أكثر من انفتاحهم على الإسلام غير الشيعي، لماذا؟ لشيء واحد، هم متابعون وفرق بيننا وبينهم فنحن لا تُتابع، أنت

الحادثة قد تكون بجانبك ولا تهتم لها ذلك الاهتمام الكثير، هم يهتمون ويتابعون. أعطي مثلاً: الحركة الإسلامية في مصر من قبل خمسين سنة تقريباً تعطي فكرًا إسلاميًا، وأثرت المكتبة الإسلامية بالمئات من الكتب، وأسهمت إسهامًا كبيرًا؛ لكن كل هذه الكتب التي هي بالمئات طُبعت وانتشرت وترجم منها للغة الإنجليزية والفرنسية وربما الألمانية والأوردو والفارسية؛ كل هذه الكتب لم تستطع أن تقدّم للعالم ما يسمّى النّظام؛ نظام يحقّق للإنسان حقوقه العادلة.

بينما تحرّكت النجف وتحركت إيران - وطبعًا كان بدء التحرك في النجف ومن قبل السيّد الشهيد (ت: ١٤٠٠ هـ) (قدّس سرّه) - وأعطت الحركة كتبًا قليلة قد تكون بالعشرات؛ لكن هذه الكتب قدّمت للعالم أنّ الإسلام فيه نظام، نظام فكري يرتبط بالجانب العقائدي، يرتبط بالجانب الاقتصادي، يرتبط بالجانب السياسي، ويستطيع أن يكون النّظام البديل؛ من هنا انفتح العالم على الإسلام الشيعي، يُعرف هذا النّظام الذي يصلح لأن يكون بديلاً لأنظمتهم التي أخضعوها للتّجربة وأخفقت. هذا أيضًا يرتبط بموضوعنا.

فالفكر الشيعي - طبعًا لما نقول فكر شيعي يعني فكر أهل البيت (عليهم السلام) - استطاع أن يثبت وجوده في العالم وأن يكون له حضور في العالم وأن يُعطي المؤثر وبشكل واضح؛ وأنّه يمكن أن يحلّ الإسلام كنظام بديل محلّ الأنظمة التي أخفقت.

الحركات الإسلامية وأهداف التحرك العليا

أيضاً لو جئنا إلى البلاد الإسلامية الآن، نرى تحركات كثيرة موجودة في البلاد

الإسلامية، وأنت تقرأ في مصر والسودان وفي المغرب وفي الجزائر وفي تونس والبلدان الأخرى.

هذا التحرك، لماذا يهدف؟ لو تابعنا هذا التحرك، وهناك متابعات موجودة ويكتب عنها الكثير؛ لما تذهب هناك في الغرب تجد هذا مكتوب عنه حتى باللغة العربية، كل هؤلاء الذين يتحركون تحركاً إسلامياً؛ ليس الهدف الوحيد هو استلام أنظمة الحكم في البلدان التي يتحركون فيها، ربما يكون هو هذا الهدف لكن ليس هو الهدف الوحيد؛ هناك هدف أسمى من هذا؛ هو أن يحققوا للإنسان المسلم كرامته، وأن يحققوا للإنسان المسلم عزته التي أرادها الإسلام له ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾^(٢).

فالله سبحانه وتعالى من خلال التشريع الذي أعطانا إياه - التشريع الإسلامي - أراد للمسلم أن يعيش كريماً عزيزاً، فالتحرك كله متجه إلى هذا، ويريد للإنسان المسلم والأمة الإسلامية أن تعيش عزيزة كريمة وتملك إرادتها، تحكم نفسها بنفسها.

هذا موجود في داخل العالم الإسلامي والبلاد الإسلامية؛ ولهذا تجد الضربات الآن جدّاً قاسية وضربات إبادة، ومع هذا فالصمود موجود؛ لأنّ الهدف أسمى، والهدف يستحقّ التضحية في نظر هؤلاء الذين يتحركون هذا التحرك.

(١) المنافقون: ٨.

(٢) النساء: ١٤١.

نجد أيضاً الآن في داخل البلاد الإسلامية أيّ تشكيك يحصل من أيّ إنسان حول سُمُو هدف من يدعون للإسلام يُتَّهم، هذا معناه أنّ هناك شيء يعمل في داخل نفوس المسلمين يحسّون بأنهم الآن قد اقتربوا من المستقبل الذي يمتلكون فيه إرادتهم، وتكون لهم كرامتهم وعزتهم.

التنبؤات والتوقعات - كما ذكرنا - أصبحت كثيرة الآن وتوقع ظهور المصلح وتنتظر ظهور المصلح.

الواقع المعاصر وإرهاصات الظهور

نعود مرّة ثانية إلى بعض الروايات؛ هناك روايات - حقيقة - لما نقرأها تتحدّث عن العراق ووضع العراق، هذا الوضع المزري الذي انتهى إليه الشعب العراقي المسكين تقرأه في الروايات، موجود تماماً كعلامة من علامات الظهور^(١)، طبعاً هذا لا يعذرنا أن لا نكون إلى جانب الشعب العراقي، لا بل ينبغي أن نكون إلى جانب الشعب العراقي.

المجزرة التي حدثت في الحرم الإبراهيمي في الخليل (١٤١٤هـ)، هذه المأساة الضخمة، أناس في أثناء السجود عند صلاة الفجر يهجم أعداء الله عليهم ويقتلون ما يشاؤون! والصّيحة حدثت من قبل - ليس المسلمين فقط - بل العالم كله.

كلّ هذا يعطينا أنّ الأنظمة التي تحكم العالم أصبحت فاشلة لا تستطيع أن تتحرّك.

(١) لاحظ: بحار الأنوار، الشّيخ محمد باقر المجلسي ٥١: ٩٢.

٣٩٠..... ائمة اهل البيت عليهم السلام ودورهم في بناء المجتمع الإسلامي

البوسنة والهرسك الآن، هذا الطّحن بالمسلمين والمناداة الكثيرة؛ مع هذا ليس هناك من يستجيب لإيقاف تيار الدّماء التي تجري.

المعنى أنّ الأنظمة أصبحت لا تمتلك القدرة على إنقاذ هذا الوضع والانحدار الذي انحدر إليه هذا الوضع والانهيار الذي أصبح وآل إليه، كل هذا يدعونا إلى أن نؤمن بأنّها تمهيد لظهور الإمام المهدي (عليه السلام).

تحرك المسلمين سبيلاً للتّمهيد

الناس تنتظر مصلحاً عادلاً، ونحن من خلال تجربتنا فإنّ أيّ شخص يأتي من هؤلاء لا يكون عادلاً، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾^(١)، يأتي عند ترشيح نفسه للانتخابات - كما ترون في التلفزيون - يقول: (أنا سوف أعمل كذا وكذا...) لكن بمجرد أن يكون السّحب ويفوز، يخرج النّمر المتوحّش من داخله. فلم تعد الناس تؤمن بهؤلاء، وأصبحت تنتظر الآن المصلح العادل الذي يحقق لها ما تريد.

التّوجه إلى النّظام العالمي، قبل فترة إذا كنّا نقول الدّولة العالمية كان يوهزء بنا؛ بأنّه يستحيل أن تتحقّق الدّولة العالمية، والعالم لا يفكر بدولة عالمية، والبشر لا تفكّر بدولة عالمية. أنتم أين تتكلمون؟! أنتم في وادٍ والعالم في وادٍ آخر. الآن العالم كله أصبح يتكلم، والعالم كلّ الآن يريد نظام عالمي موحد، يريد دولة عالمية واحدة.

هذه الأحداث تدعونا إلى أن نستفيد منها في التّمهيد لظهور الإمام الحجة. من هنا نقول إنّ الإمام ينتظرنا، ولسنا نحن الذين ننتظره، فهذا الانتظار يتوجّه إلينا وهو الذي ينتظرنا؛ الأرضية الآن أصبحت مُمهّدة عالمياً، كلّ ما نحتاج نحن المسلمين أن نتحرّك، والتّحرك - حقيقة - موجود الآن، وربما بمتابعة الغربيين لهذا أدركوا أين يوجد هذا التّحرك. وهذه الحملة القوية الآن هدم هذا الكيان الشّيعي القائم؛ لأنّهم يقدّرون ربّما يكون هذا الكيان الشّيعي هو الدّولة التي تُسلم للإمام المهدي.

وفي روايات عندنا كثيرة (إذا رأيتُم الرّايات السود قد أقبلت من خراسان...) ^(١)، وكلمة (إيران) هذه متأخرة ولم تكن موجودة؛ لما صارت مناداة بالقومية العربية - التي لم نحصل منها على أي شيء حتى أنسابنا نسيناها - ونحن عرب وعجم فهم نادوا بالقومية الآرية، ورفعوا الشّاه وسموه (آريا مهر)، وتعني رائد القومية الآرية، ومن هنا جاءت كلمة (إيران)، وإلاّ من قبل كانت تسمّى خراسان أو تسمّى بلاد فارس.

فالروايات التي ترد فيها كلمة فارس أو بلاد فارس أو خراسان تعني (إيران) بشكل عام؛ فالروية تقول: (إذا رأيتُم الرّايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبوا على الثلج؛ فإنّ فيها خليفة الله المهدي).

أيضاً هناك روايات تشير إلى أنّهم هم الذين يُمهّدون لظهور الإمام المهدي؛ وهم الذين يُسلّمون الدّولة للإمام المهدي (عليه السلام).

فماذا نعمل الآن في انتظارنا للإمام المهدي؟ الذي أريد أن أقوله شيء واحد: أن لا نحارب هذا الكيان الشّيعي، نحن لا نؤيّد! لا أعلم قد يأخذنا الكبرياء، ويأخذنا جبروتنا، وأننا أقوياء ومهدنا كلّ التّمهيدات للإمام الحجة - فلا داعي لأن نؤيد هؤلاء، على الأقل لا نحاربهم ولا نسمع هؤلاء الذين لهم مصالح معيّنة يحاربون فنحارب معهم، هذا لا يجوز.

هذا الكيان أعطى للشّيعية وللإسلام وجوداً لم يعطه أيّ كيان آخر من الكيانات الموجودة في العالم؛ فلنستفد من هذا الكيان في التّمهيد والعمل الجادّ، هم يدركون هذا ويعملون عملاً جادّاً للتّمهيد للإمام المهدي (عليه السلام)؛

(١) لاحظ: بحار الأنوار، الشّيخ محمد باقر المجلسي ٥١: ٨٢.

ليكن منّا فقط عدم المحاربة، إذا كنّا لا نريد أن نؤيّد فلا نحارب.
وهؤلاء الذين يحاربون هذا الكيان لا أقول أكثر من أنّهم...!! لا يحتاج أن
أضع علامة استفهام، أنتم تدركون هذا الشيء أكثر مما يحتاج أن أقول حوله أيّ
شيء.

فالوعد الذي وعده القرآن ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
يَرُثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١) سوف يتحقّق إن شاء الله.
﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ
الْوَارِثِينَ﴾^(٢) أيضاً كذلك سوف يتحقّق؛ لكن يحتاج منّا وقفة تأييد، ولا نتأثّر
بهؤلاء الذين ينعمون نعيم الغربان.

لا أقول أكثر من هذا عن هؤلاء، فلا نتأثّر بهم، هؤلاء سيلقون مصيرهم
عندما يخرج الإمام المهدي (عليه السلام). تراهم لا يدور على ألسنتهم ذكر اسم
الإمام المهدي (عليه السلام)، أنا معهم أقوم وأجلس ما رأيتهم ذكروا الإمام
المهدي أبداً، بل على العكس عندما يُذكر الإمام المهدي...!! لأنّهم يعرفون إذا
خرج سوف يجزّ هذه الرؤوس.

في نهاية الموضوع، كما نحن ننتظر الإمام المهدي هو ينتظرنا أيضاً، وليكن
انتظارنا بأن نؤيّد هؤلاء الذين يعملون من أجل خروج الإمام المهدي، ولا
نكون مع الآخرين الذين يقفون ضدّ هؤلاء.
هناك أشياء أخرى ما أردت أن أذكرها، لعلّ هذا فيه كفاية وفيه إجابة على

(١) طه: ١٠٥.

(٢) القصص: ١٥.

التَّساؤل الذي طُرِح من قبل اللَّجنة القائمة على الموسم أو المهرجان.
فكما أنَّنا ننتظر الإمام المهدي هو ينتظرنا؛ ولأجل أن نحقق انتظارنا نحققه
بهذه الكيفية، وهذا بمقدونا.

نحن لا نقول لك: ادفع الأموال مثل ما يدفع الآخرون أو السلاح أو كذا...
المطلوب ميسور ومقدور وليس فيه خسارة أبدًا، وفيه ثواب كثير أيضًا، ولا
تخدعوا بأقوال هؤلاء الذين ينعقون نعيق الغربان، فهذا الوصف هو الذي
ينبغي أن يُعطى لهم.
والحمد لله رب العالمين.